الفصل الثاني عشر

والآن .. تعالوا الى الكلمة السواء !!

يقول الله تعالى : « **قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** »[1] .

الخطاب فى هذه الآية .. موجه الى الرسول ﷺ ، يأمره فيه تعالى بأن يوجه خطابه الى أهل الكتاب .. يدعوهم : أن هلموا الى كلمة عدل بيننا وبينكم .. بأن لا نعبد غير الله تعالى ، وأن نبرأ من كل معبود سواه .. وأن لا نشرك فى عبادته شيئا .. لا وثنا ولا صنما .. ولا صليبا ولا طاغوتا .. ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فى معصية الله تعالى فيعظمه بالسجود له كما يسجد لربه .. ولا يطيعه فيما يطيع الله تعالى فيه ..

ثم يقول تعالى لنبيه ﷺ : فان هم أعرضوا عما دعوتهم اليه من الكلمة العدل .. فقولوا أنتم أيها المؤمنون : اشهدوا علينا بأننا مسلمون ، خاضعون لله تعالى .. متذللون له بقلوبنا وألسنتنا ..

وأهل الكتاب .. هم اليهود والنصارى .

والعبادة ، لغة : هى الطاعة مع الخضوع والانقياد والتذلل وهى شرعا : الخضوع الكامل الممتزج بالحب الكامل ، وافراد الله تعالى وحده بالسؤال والدعاء ، واقامة الشعائر الدينية التى أمر بها ، والانقياد والاذعان التامين لما شرع من أحكام ..

والشرك : هو أن يعدل بالله غيره ، فيجعل له شريكا فى ربوبيته أو فى ملكه ..

* * *

---

(١) آل عمران : ٦٤

● **معنى العبـــادة :**

العبودة •• والعبودية •• والعبدية ، معناها اللغوى : الخضوع والتذلل •• أى استسلام المرء وانقياده لأحد غيره انقياداً لا مقاومة معه ، ولا عدول عنه ، ولا عصيان له •• حتى يســتخدمه هو حسب ما يرضى وكيف يشاء ••

يقول ابن فارس فى مادة (عبد) : « العين والباء أصلان صحيحان •• كأنهما متضادان •• والأول من ذينك الأصلين يدل على لين وذل ، والآخر على شدة وغلظة »[٢] •

ويقول ابن سيده : « أصل العبادة فى اللغة التذليل •• والعبادة والخضوع والتذلل والاستكانة قرائب فى المعانى •• وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة •• طاعة كان للمعبود أو غير طاعة »[٣] •

وكل طاعة على جهة الخضوع والتذلل فهى عبادة •• والعبادة نوع من الخضوع لا يســتحقه الا المنعم بأعلى أجناس النعم •• كالحياة والفهم ، والسمع والبصر •• والشكر والعبادة لا تستحق الا بالنعمة •• لأن أقل القليل من العبادة يكبر عن أن يستحقه الا من كان له أعلا جنس من النعمة ــ وهو الله ســبحانه ــ فلذلك لا يستحق العبادة الا الله تعالى ••

وتقول العــرب : « بعير معبد » : للبعير السلس المنقــاد • و « طريق معبد » : للطريق الممهد الوطء ••

ومن هذا الأصل اللغوى •• نشأت فى مادة هذه الكلمة معانى العبودية والاطاعة والتأله والخدمة والقيد والمنع • •

ويقول ابن منظور : « العبد » : المملوك خلاف الحر •• تقول : « تعبد الرجل » : اتخذه عبدا أى مملوكا ، أو عامله معاملة العبد •• وكذلك : عبد الرجل وأعبده واعتبده[٤] ••

---

(٢) مقاييس اللغة ، لابن فارس ، ج ٥ ، ص ٢٠٥

(٣) المخصص ، لابن سيده ، ج ١٣ ص ٩٦

(٤) لسان العرب ، لابن منظور ، ج ٤ مادة (عبد) .

وقد جاء فى الحديث الشريف : « ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة : من تقدم قوما وهم له كارهون .. ورجل أتى الصلاة دبارا — أى بعد أن تفوته — .. ورجل اعتبد محررا »(٥) .

ويقول تعالى : **« ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين . الى فرعون وملأه فاستكبروا وكانوا قوما عالين . فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون »**(٦) .

فالله تعالى أرسل موسى وهارون عليهما السلام بحججه وبرهانه الواضح على توحيد الله الى فرعون وأشراف قومه من القبط ، فاستكبروا عن اتباعها ، وكانوا قوما عالين قاهرين على من فى بلادهم بالظلم ، فقال فرعون وملؤه : أنتبع بشرين مثلنا وقومهما من بنى اسرائيل مطيعون لنا متذللون .. يأتمرون لأمرنا ويدينون لنا ؟ ..

والعرب تسمى كل من دان للملك عابدا له ..

ويقول جل شأنه : **« وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل »**(٧) .

لما امتن فرعون على موسى عليه السلام قائلا : ألم نربك صغيرا فى بيتنا وعلى فراشنا ، ومكثت عندنا مدة من السنين ، ثم قتلت النفس من القبط وأنت من الكافرين — أى الجاحدين — نعمتنا عليك واحساننا اليك ، فهذا الذى كافأتنا به أن قتلت منا نفسه ، وجحدت نعمتنا .. رد عليه موسى قائلا : وهل هذه نعمة تمن بها على ، أن اتخذت بنى اسرائيل عبيدا لك ، وتركتنى فلم تستعبدنى ؟ ! .. وكان غرض موسى عليه السلام التهكم والاستهزاء بفرعون .. يقول له : تجعل بنى اسرائيل عبيدا لك ، ثم تمتن على بذلك ؟ .. فهذه نقمة وليست نعمة !!

وفيه عن مجاهد : أى قهرتهم واستعملتهم ، وعن ابن جريج : أى قهرت وغلبت واستعملت بنى اسرائيل ..

---

(٥) رواه أبو داوود وابن ماجة والبيهقى .

(٦) المؤمنون : ٤٥ — ٤٧ (٧) الشعراء : ٢٢

والمراد بالعبادة فى هاتين الآيتين : هو العبودية والاطاعة ..
فقال فرعون : ان قوم موسى وهارون عابدون لنا — أى عبيد لنا خاضعون لأمرنا .. وقال موسى عليه السلام : انك عبدت بنى اسرائيل — أى اتخذتهم وتستخدمهم حسبما تشاء وترضى ..

● والمعنى الثانى للعبادة : أنها الطاعة مع الخضوع .. يقول ابن الانبارى : « فلان عابد » .. وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره ..

يقول الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون »**[٨] .

أى : ان كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين .. فكلوا مما أباح لكم أكله وحلله وطيبه لكم .. ودعوا فى تحريمه خطوات الشيطان .. وهو الذى ندبهم الى أكله ونهاهم عن اعتقاد تحريمه ، اذ كان تحريمهم اياه فى الجاهلية طاعة منهم للشيطان واتباعا لأهل الكفر منهم بالله من الآباء والأسلاف ..

وقيل : ان المناسبة التى أنزلت فيها هذه الآية ، أن العرب قبل الاسلام كانوا يتعبدون بأنواع من القيود فى المآكل والمشارب امتثالا لأوامر أئمتهم الدينيين ، واتباعا لأوهام آبائهم الأولين .. فلما أسلموا قال الله تعالى : ان كنتم تعبدوننى فعليكم أن تحطموا جميع تلك القيود .. وتأكلوا ما أحللته لكم هنيئا مريئا ..

ويعنى ذلك .. أنكم ان لم تكونوا عبادا لأحباركم وأئمتكم ، بل لله وحده .. وان كنتم قد هجرتم طاعتهم الى طاعته .. فقد وجب عليكم أن تتبعوا ما وضعه لكم من الحدود ، لا ما وضعوه فى الحلال والحرام .. ومن هنا جاءت كلمة العبادة فى هذا الموضع بمعانى العبودية والاطاعة ..

● ويقال « عبد الطاغوت » .. أى أطاعه ..

---

(٨) البقرة : ١٧٢

يقول تعالى : « **قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل** » (٩) .

أى : هل أخبركم بشر مما تعيبون به علينا من الايمان بالله والتصديق بكتبه ورسله جزاء وثوابا عند الله ؟ — فوضع المثوبة موضع العقوبة للتهكم والسخرية — أولئك الذين أبعدهم الله وطردهم من رحمته ، وسخط عليهم فعجل لهم الخزى والنكال فى الدنيا ومسخ بعضهم قردة ، وبعضهم خنازير .. وجعل منهم من عبد الشيطان والأوثان .. هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الشنيعة ، شر منزلة ممن نقمتم عليهم يامعشر اليهود ، وأبعد عن سبيل الرشد والهدى ..

وفى الآية تعريض باليهود باخبارهم بقبيح فعالهم وذميم أخلاقهم .. كأنه يقول لهم : أهؤلاء المؤمنون الذين تستهزئون منهم شر ، أم من لعنه الله ؟

ويقول جل شأنه : « **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** »(١٠) .

أى : ولقد أرسلنا لكل أمة سلفت رسولا ، بأن اعبدوا الله وحده ، وابتعدوا عن الشيطان واحذروا أن يصدكم عن سبيل الله .. فمن هؤلاء الأمم من هداه الله ووفقه للايمان ففاز وأفلح .. ومنهم من كفر وكذب ، واتبع الطاغوت فهلك .. فسيروا — أيها المكذبون — فى البلاد التى كانوا يسكنونها فانظروا ماذا حل بهم من سخط الله وعقابه . والغرض هو الاعتبار بما حل بالسابقين من الأمم الكافرة ، وتحقق صحة ما أخبرهم به الرسول ﷺ .

ويقول جل وعلا : « **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا**

---

(٩) المائدة : ٦٠ (١٠) النحل : ٣٦

الى الله لهم البشرى ، فبشر عباد • الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب »[١١] •

أى : ان الذين اجتنبوا عبادة كل ما عبد من دون الله من شىء ، وتابوا الى الله ، ورجعوا الى الاقرار بتوحيده والعمل بطاعته •• لهم البشرى فى الدنيا بالجنة •• فبشر — يامحمد — عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أرشده وأهداه الى الحق ، وأدله على توحيد الله ، ويتركون ما سوى ذلك •• أولئك الناس هم الذين وفقهم الله للرشاد واصابة الصواب ، وأولئك هم أولوا العقول لا الذين يعرضون عن سماع الحق ، ويعبدون ما لا يضر ولا ينفع •• والله تعالى فى هذه الآية يثنى على المؤمنين بنفوذ بصائرهم ، وتمييزهم بين الأحسن من كل شىء ، وانما وضع الظاهر « **فبشر عباد** » بدل الضمير « فبشرهم » تشريفا لهم وتكريما باضافتهم الى نفسه ••

فالمراد بعبادة الطاغوت فى كل من هذه الآيات الثلاث •• هو العبودية للطاغوت واطاعته •• ومعنى الطاغوت فى اصطلاح القرآن الكريم ، كل دولة أو سلطة وكل امامة أو قيادة تبغى على الله وتتمرد ، ثم تنفذ حكمها فى أرضه وتحمل عباده على طاعتها بالاكراه أو بالاغراء أو بالتعليم الفاسد • •

فاستسلام المرء لمثل تلك السلطة وتلك الامامة والزعامة ، وتعبده لها ثم طاعته اياها : كل ذلك منه عبادة ولا شك للطاغوت ••

● ولقد جاءت كلمة « العبادة » فى القرآن الكريم بمعنى الطاعة وحدها ••

يقول تعالى : « **ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ، انه لكم عدو مبين • وأن أعبدونى ، هذا صراط مستقيم** »[١٢] •

أى : ألم أوصكم وآمركم فى الدنيا أن لا تطيعوا الشيطان فى معصية الله ؟ لأن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة ، فقد غرر أباكم حتى أخرجه وزوجه من الجنة •• وألم أوصكم بأن تعبدونى دون سواى

---

(١١) الزمر : ١٧ ، ١٨ (١٢) يس : ٦٠ ، ٦١

من الآلهة والأنداد ؟ ان اخلاص عبادتى ، وافراد طاعتى هو الدين الصحيح والطريق المستقيم ..

والواضح أنه لا يتأله أحد للشيطان فى هذه الدنيا .. بل الكل يلعنه ويطرده من نفسه .. لذلك فان الجريمة التى يصم بها الله تعالى بنى آدم يوم القيامة ليست تأليه الشيطان فى الحياة الدنيا .. بل اطاعتهم لأمره ، واتباعهم لحكمه ، وتسربهم الى السبل التى أراهم اياها . .

ويقول جل شأنه : « **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون . من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم** »(١٣) .

أى : اجمعوا الذين كفروا بالله فى الدنيا ، وأشياعهم على الكفر — وليس المراد بالأزواج هنا الزوجات ، انما المراد بهم أشباههم من المجرمين العصاة — احشروهم وآلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله ، فوجهوهم الى طريق النار الموقدة ..

ثم يقول جلا وعلا : « **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين . قالوا بل لم تكونوا مؤمنين . وما كان لنا عليكم من سلطان ، بل كنتم قوما طاغين** »(١٤) .

أى : أقبل الأتباع على الرؤساء يلوم بعضهم بعضا ويتخاصمون ويتنازعون .. يقول الأتباع : انكم كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق فتخدعوننا بأقوى الوجوه .. فيقول الرؤساء : بل لم تكونوا بتوحيد الله مقرين ، وكنتم لغيره عابدين ، وما كان لنا عليكم من حجة فنصدكم بها عن الايمان ، بل كنتم أنتم معتدين الى ما ليس لكم التعدية اليه من معصية الله ومخالفة أمره ..

فاذا ما أنعمنا النظر فى هذه المحاورة التى حكاها القرآن بين العابدين وبين ما كانوا يعبدون .. فانه سوف يتضح لنا أن ليس المراد بالمعبودين فى هذا المقام الآلهة والأصنام التى كان يتأله لها القوم .. بل المراد أولئك الأئمة والهداة الذين أضلوا الخلق متظاهرين بالنصح ..

---

(١٣) الصافات : ٢٢ ، ٢٣ (١٤) الصافات : ٢٧ — ٣٠

وتمثلوا للناس فى لبوس القديسين المطهرين .. فخدعوهم بسبحاتهم وجبابهم وجعلوهم تبعاً لهم .. والذين أشاعوا فيهم الشر والفساد باسم النصح والاصلاح ..

فالتقليد الأعمى لأولئك الخداعين .. والاتباع لأحكامهم هو الذى عبر عنه الله تعالى بكلمة العبادة فى قوله : « **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون** »(١٥) .

لقد اتخذ اليهود علماءهم ، واتخذ النصارى رهبانهم أربابا من دون الله ، يطيعونهم فيما يحللون ويحرمون .. كما اتخذ النصارى المسيح ابن مريم ربا .. وما أمر اليهود والنصارى الا أن يعبدوا ويطيعوا ربا واحدا .. لا اله الا هو ، لا أربابا شتى .. وهو الله المستحق على جميع خلقه الاقرار له بالوحدانية والربوبية .. تنزه الله عما يشرك به هؤلاء وهؤلاء ..

فالمراد فى هذه الآية .. باتخاذ العلماء والأحبار أربابا من دون الله ، ثم عبادتهم .. هو الايمان بكونهم مالكى الأمر والنهى ، والاطاعة لأحكامهم بدون سند من عند الله أو رسوله .. وقد صرح بهذا المعنى رسول الله ﷺ نفسه فى الأحاديث الصحيحة .. فلما قيل له : اننا لم نعبد علماءنا وأحبارنا .. قال : ألم تحلوا ما أحلوه .. وتحرموا ما حرموه ؟ ..

عن عدى بن حاتم قال : أتيت رسول الله ﷺ وفى عنقى صليب من ذهب — وكان عدى حديث عهد بالاسلام — فقال : « ياعدى ، اطرح هذا الوثن من عنقك » .. فطرحته وانتهيت اليه وهو يقرأ فى سورة براءة .. فقرأ هذه الآية : « **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** » .. فقلت : يارسول الله ، انا لا نعبدهم .. فقال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه .. ويحلون ما حرم الله فتحلونه » ... قلت : بلى ، قال : « فتلك عبادتهم » ..

---

(١٥) التوبة : ٣١

● أما المعنى الثالث للعبادة : فهو التأله والتنسك والتعظيم ..
والعبادة بهذا المعنى تشتمل على أمرين اثنين حسبما يدل عليه القرآن الكريم ..

الأمر الأول : أن يؤدى المرء لأحد من الشعائر كالسجود والركوع والقيام والطواف وتقبيل عتبة الباب أو الضريح أو النذر والنسك .. ما يؤديه عادة بقصد التأله والتنسك .. ولا عبرة بأن يكون المرء يعتقده الها أعلا مستقلا بذاته .. أو يأتى بكل ذلك اياه وسيلة للشفاعة والزلفى اليه ، أو مؤمنا بكونه شريكا للاله الأعلى وتابعا له فى تدبيره أمر هذا العالم ..

أما الأمر الثانى : فهو أن يظن المرء أحداً مسيطراً على نظام الأسباب فى هذا العالم .. ثم يدعوه فى حاجته ويستغيث به فى ضره وآفته ، ويعوذ به عند نزول الأهوال ونقص الأنفس والأموال ..

فهذان الأمران من عمل المرء ، كلاهما داخل فى معانى التأله ..

والشاهد لذلك قوله الله تعالى : « **قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين** »(١٦) .

هذه الآية .. جاءت بعد قوله تعالى : « **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين . الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ، ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا اله الا هو ، فأنى تؤفكون . كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون . الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم ، فتبارك الله رب العالمين . هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين** »(١٧) .

---

(١٦) غافر : ٦٦

(١٧) غافر : ٦٠ — ٦٥

الله تعالى يقول لنا : اعبدونى وأخلصوا لى العبادة ، أجب دعاءكم ، ويتوعد الذين يتكبرون عن افراده بالعبادة والألوهية بدخولهم النار صاغرين •• ثم يصف تعالى نعمه علينا فيقول : ان الاله الذى لا تنبغى العبادة أو توجيه الدعاء لغيره هو الذى جعل الليل لتهدأوا فيه من التصرف والاضطراب للمعاش •• وجعل النهار لطلب المعاش والحاجات ، نعمة منه وفضلا ، فانه تعالى المتفضل عليكم — أيها الناس — بما لا مثيل له من الفضل ، ولكن أكثر الناس لا يشكرونه بالطاعة له واخلاص الألوهية والعبادة •• الذى فعل هذه الأشياء هو الله خالقكم وخالق كل شىء •• لا معبود تصلح له العبادة غيره فأين تذهبون عنه وتعبدون سواه ؟ •• كذهابكم عن الحق الى الباطل ، والرشد الى الضلال ذهب الذين كذبوا بحجج الله وآياته •• فالله تعالى هو الذى جعل لكم الأرض ممهدة لتستقروا عليها وتسكنوا فوقها •• ورفع السماء فوقكم لمصالحكم وقوام دنياكم •• وهو الذى خلقكم فأحسن خلقكم ، ورزقكم من حلال الرزق ولذيذات المطاعم والمشارب •• الذى فعل هذه الأفعال هو الله ربكم الذى لا تصلح الربوبية لغيره •• فتبارك الله مالك جميع الخلق •• هو الحى الذى لا يموت ، ولا معبود بحق سواه •• فادعوه مخلصين له الطاعة ، ولا تشركوا فى عبادته شيئا سواه ، فالثناء التام الكامل لله مالك كل شىء ••

ثم يقول لنبيه : قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعونهم من دون الله من آلهة وأوثان •• فقد جاءنى من آيات كتاب الله الواضحات الذى أنزله الله على ، وأمرنى ربى أن أذل وأخضع له بالطاعة دون غيره •

ويقول جل شأنه على لسان ابراهيم عليه السلام : « **وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا • فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب ، وكلا جعلنا نبيا** »(١٨) •

يقول ابراهيم عليه السلام : وأجتنبكم وما تعبدون من دون الله ،

---

(١٨) مريم : ٤٨ ، ٤٩

من الأوثان والأصنام .. وأدعوا ربى مخلصا له العبادة ، عسى أن لا أشقى بدعائى فيعطينى ما أسأله .. فلما اعتزل ابراهيم قومه ، وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله .. آنس الله وحشته من فراق قومه ، ووهب له ابنه اسحاق وابن ابنه يعقوب .. وجعلهم — كلهم — ابراهيم واسحاق ويعقوب — أنبياء ..

ويقول جل وعلا : « **ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** »[١٩] .

والمعنى — والله أعلم — أى عبد أضل ممن عبد حجرا أو خشبا وجعلها آلهة ، وهى لا تجيب دعاءه أبدا الى يوم القيامة ؟ — وهذا توبيخ من الله تعالى للمشركين فى سوء رأيهم وقبح اختيارهم ، وفى عبادتهم من لا يعقل ولا يفهم ، وتركهم عبادة الاله القادر ، السميع البصير — فان هذه الآلهة المدعاة فى غفلة عن دعائهم واستغاثتهم عند المصائب ، فهى لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل .. ويوم القيامة حين يجمع الناس لموقف الحساب ستكون هذه الآلهة أعداء لم ، لأنهم يتبرأون منهم وسيكونون جاحدين بعبادتهم لأنهم يقولون : يا ربنا ، ما أمرناهم بعبادتنا ، تبرأنا اليك منهم ، فيتبرأون من عبادتهم ويقولون : « **تبرأنا اليك ، ما كانوا ايانا يعبدون** »[٢٠] .

ففى هذه الآيات الثلاث .. يصرح القرآن نفسه بأن المراد بالعبادة فيها هو الدعاء والاستغاثة .. وبدهى أن الأحجار والأخشاب لن تنطق فهى لا تعقل .. انما الذين يتبرأون من عبادة المشركين لهم هم الأسلاف من الصالحين الذين قدسهم المشركون واتخذوهم وسائط لدى الله يتجهون اليهم بالدعاء والاستغاثة فيعكفون على قبورهم يطوفون ويتمسحون بها فى ذلة وصغار .. طامعين فى شفاعتهم ووساطتهم .

ويقول تعالى : « **بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون** »[٢١] .

---

(١٩) الأحقاف : ٥ ، ٦ (٢٠) القصص : ٦٣

(٢١) سبأ : ٤١

والمراد بعبادة الجن والايمان بهم فى هذه الآية .. يفصله قوله تعالى فى سورة الجن : « **وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا** » (٢٢) .

فان أولئك الرجال من الانس ، كانوا يستجيرون برجال من الجن فى أسفارهم ، فيقولون : « نعوذ بعزيز هذا الوادى من شر سفهاء قومه » .. فزاد الانس والجن بفعلهم ذلك اثما ، واستحلالا لمحارم الله ، فالرهق فى كلام العرب : الاثم وغشيان المحارم ..

ويتبين لنا أن المراد بعبادة الجن هو العياذ بهم واللجوء اليهم فى الأهوال ، ونقص الأموال والأنفس .. كما أن المراد بالايمان بهم هو الاعتقاد بقدرتهم على الاعاذة والمحافظة .

كما يقول تعالى : « **ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل . قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا** »(٢٣) .

أى أنه تعالى فى يوم القيامة سوف يحشر العابدين للأوثان ، وما كانوا يعبدون من دون الله ، من الملائكة والانس والجن .. ثم يقول تعالى للمعبودين : أأنتم أزللتم عبادى عن طريق الهدى ، ودعونموهم الى الغى والضلالة حتى تاهوا ؟ أم عبادى هم الذين ضلوا سبيل الرشد والحق ؟ . فيقول المعبودون : ننزهك يا ربنا ، ونبرئك مما أضاف اليك هؤلاء المشركون ، ما يصح لنا أن نتخذ من دونك من نواليه ، أنت ولينا من دونهم ، ولكن متعتهم يا ربنا بالمال والصحة ، حتى نسوا ذكرك ، وكانوا قوما هلكى قد غلب عليهم الشقاء ..

ثم يقول تعالى : « **فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ، ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا** »(٢٤) .

---

(٢٢) الجن : ٦ (٢٣) الفرقان : ١٧ ، ١٨
(٢٤) الفرقان : ١٩

لقد كذبهم الذين زعموا أنهم أضلوهم فى دعواهم أنهم آلهة ٠٠ فما يستطيع أولئك الكفار صرف العذاب عن أنفسهم ولا نصرها من الله ٠٠ ويتوعد تعالى من يشرك به بأنه سوف يذيقه العذاب الشديد فى جهنم ٠

ويتجلى لنا من هذه الآيات ٠٠ أن المقصود بالمعبودين فيها هم الأولياء والأنبياء والصلحاء ٠٠ والمراد بعبادتهم هو الاعتقاد بكونهم أجل ، وأرفع من خصائص العبدية ، والظن بكونهم متصفين بصفات الألوهية وقادرين على الاعانة الغيبية ، وكشف الضر والاغاثة ٠٠ ثم القيام بين أيديهم بشعائر التكريم والتعظيم ، مما يكاد يكون تألها وقنوتا ٠٠

ويقول جل شأنه : « **ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ٠ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون** »[٢٥] ٠

أى أنه تعالى سوف يحشر الكفار جميعا ، ثم يقول للملائكة : أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا ؟ ، فيتبرأ منهم الملائكة ويقولون : ننزهك يا رب مما أضاف اليك هؤلاء من الأنداد ، لا نتخذ وليا من دونك ٠ ٠ بل كانوا يعبدون الشياطين ، أكثرهم يصدقون بأن الجن بنات الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ٠٠ فاليوم لا تملك الملائكة للذين كانوا يعبدونهم فى الدنيا نفعا ينفعونهم به ، ولا ضرا ينالونهم به ، ويقول تعالى للذين عبدوا غير الله : ذوقوا عذاب جهنم التى كنتم بها فى الدنيا تكذبون ٠٠ وهو قوله تعالى فى الآية بعدها : « **فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون** »[٢٦] ٠

والمقصود هنا بعبادة الملائكة ٠٠ هو التأله والخضوع لهياكلهم وتماثيلهم الخيالية ، كما كان يفعله أهل الجاهلية ٠٠ وكان غرضهم من وراء ذلك أن يرضوهم فيستعطفونهم ويستعينوا بهم فى شئون حياتهم الدنيا ٠٠

---

(٢٥) سبأ : ٤٠ ، ٤١ (٢٦) سبأ : ٤٢

ويقول جل شأنه : « **ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون** »(٢٧) .

فالمشركون يعبدون الأصنام التى يعبدونها ، وهى لاتضر ولا تنفع ، ويقولون : انمـا نعبدها رجاء شـفاعتها لنا عند الله .. فقـل لهم ـ يا محمد ـ : أتخبرون الله بما لا يكون فى السموات ولا فى الأرض؟ تنزه الله تعالى عن شركهم وكفرهم ..

كما يقول جل وعلا : « **ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار** »(٢٨) .

العبادة والطاعة لا تكون الا لله وحده ، خالصة لا شريك لأحد معه فيها .. أما الذين عبدوا من دون الله الأوثان ، فانهم يقولون لأوثانهم : ما نعبدكم الا لتقربونا الى الله منزلة ، وتشفعوا لنا عنده فى حاجتنا .. وسيفصل الله بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا أولياء من دون الله ، سيفصل تعالى فيما يختلفون فيه بأن يصليهم جميعا نار جهنم ، الا من أخلص الدين لله فوحده ، والله تعالى لا يرشد الى الحق من هو مفتر على الله ، يقول عليه الباطل ، كافر لنعمه ، جاحد لربوبيته .

المراد ـ اذن ـ فى هاتين الآيتين .. هو التأله ، وقد فصـل فيهما الغرض الذى كانوا لأجله يقدسونهم .. فهم لم يعتقدوا فيهم الخلق والايجاد ، ولكنهم اتخذوهم وسائط وشفعاء لدى الله ..

ويتضح لنا من جميع ما تقدم .. أن كلمة « العبادة » فى القرآن الكريم قد استعملت فى بعض المواقع بمعنى العبودية والاطاعة . . وفى أخرى بمعنى الاطاعة فحسب ، وفى الثالثة بمعنى التأله وحده ..

كما جاءت شاملة لجميع هذه المعانى الثلاثة . . يقول تعـالى : « **ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، فادعوهم فليستجيبوا لكم**

---

(٢٧) يونس : ١٨ (٢٨) الزمر : ٣

ان كنتم صادقين · ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيد يبطشون بها ، أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم آذان يسمعون بها ، قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون »(٢٩) ·

يقول تعالى : ان الذين تعبدونهم من دون الله من الأوثان والأصنام مخلوقات مثلكم بل أنتم أكمل منها ، فالأصنام لا تسمع دعاء من دعاها وسواء لديها من دعاها ومن دحاها . بل الانسان أكمل منها وأشرف لأنه يسمع ويبصر ويعقل ·· وهذه دمى لا يرجى منها شيء من الخير فكيف تكون آلهة مع الله ؟ ·· ويتحداهم قائلا : ادعوهم لجلب نفع أو دفع ضر ان كنتم صادقين فى دعوى أنها آلهة ، ألهذه الأصنام أرجل يمشون بها فى حوائجكم ؟ ·· أم لهم أيد يدفعون بها عنكم من يقصدكم بشر أو مكروه ؟ · · أم لهم أعين يبصرون بها فيعرفونكم ما يغيب عنكم ؟·· أم لهم آذان فيخبرونكم ما لم تسمعوه ؟ ·· فاذا كانت آلهتكم ليس فيها شيء من هذه الآلات ، فما وجه عبادتكم لها ؟ ·· فقل ــ يا محمد ــ لهؤلاء المشركين : ادعوا آلهتكم واستنصروا بها على فــلا تؤخرونى بالكيد والمكر طرفة عين ، فان الله تعالى قد عصمنى منكم ··

ثم يقول تعالى : « **والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون** »(٣٠) ·

أى : أن الذين تعبدونهم من الآلهة ، لايقدرون على نصركم ولا على نصر أنفسهم ·· فأى هذين أحق بالعبادة ؟ من ينصر وليه ، أم من لا يقدر على نصر نفسه أو وليه ؟ ؟

ويقول جل شأنه : « **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه ، بل عباد مكرمون · لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون · يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** »(٣١) ·

أى : وقال الكافرون اتخذ الرحمن ولدا من الملائكة ــ تنزه الله عن ذلك ــ ما الملائكة الا عباد أكرمهم الله ، لا يتكلمون الا بما يأمرهم

---

(٢٩) الاعراف : ١٩٤ ، ١٩٥ (٣٠) الاعراف : ١٩٧
(٣١) الأنبياء : ٢٦ ــ ٢٨

به ربهم ، ولا يعملون عملا الا بأمره .. يعلم ما بين أيدى ملائكته مما هم فيه قائلون وعاملون ، ويعلم ما مضى من الأزمان وما عملوا فيه ، لا يخفى عليه شيء .. ولا تشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه ، وهم من خوفه تعالى حذرون أن يعصوه ، ويخالفوا أمره ونهيه ..

ويقول جل وعلا : « **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ، أشهدوا خلقهم ، ستكتب شهادتهم ويسئلون . وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، ما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يخرصون** »[٣٢] .

أى : أن المشركين قد جعلوا الملائكة — الذين هم خلق الله وعباده بناتا لله فأنثوهم ، أشهد أولئك المشركون خلق ملائكة الله اناثا فوصفوهم بذلك لرؤيتهم اياهم ؟ ستكتب شهادة هؤلاء القائلين ، ويسئلون عن شهادتهم فى الآخرة .. وقال المشركون : لو شاء الرحمن ما عبدنا أوثاننا ، فالله راض عنا لعبادتنا اياها .. ما لهم بحقيقة ما يقولون من علم ، وانما يقولونه تخرصا[٣٣] وكذبا ..

ويقول جل شأنه : « **ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا** »[٣٤] .

أى : أن جميع من فى السموات من الملائكة ، ومن فى الأرض من الانس والجن .. سوف يأتون ربهم مقرين له بالعبودية .. لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم ، وعدهم عدا فلا يخفى عليه منهم أحد .. وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم القيامة وحيدا لا ناصر له ، فيقضى الله فيه ما هو قاض ..

ويقول جل وعلا : « **قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شيء قدير . تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل ، وتخرج**

---

(٣٢) الزخرف : ١٩ ، ٢٠

(٣٣) التخرص : هو الكذب الذى لا يستند على دليل .

(٣٤) مريم : ٩٣ — ٩٥

الحى من الميت وتخـــرج الميت من الحى ، وترزق من تشـــاء بغـــير حساب »(٣٥) .

يأمر الله نبيه ــ ويأمرنا معه ــ أن نقول: يا الله ، يا مالك الملك ، يا من له ملك الدنيا والآخرة .. تعطى الملك من تشاء فتملكه وتسلطه على من تشاء ، وتسلب الملك ممن تشاء أن تسلبه منه .. وتعز من تشاء باعطائه الملك والسلطان .. وتذل من تشاء بسلب ملكه وتسليط عدوه عليه .. كل ذلك بيدك واليك لا الى غيرك .. ولا يقدر على ذلك أحد ســـواك .. فأنت ــ يارب ــ تدخل ما نقصت من ساعات الليل فى ساعات النهار ، وبالعكس ، فما أنقصته من النهار تجعله فى الليل ، وما أنقصته من الليل تجعله فى النهار .. وتخرج الانسان الحى من النطفة الميتة ، وتخرج النطفة الميتة من الانسان الحى ، وكذلك الأنعام والبهائم . [فالنطفة ميتة ثم ينشىء الله منها انسانا حيا ، ومن الانســـان الحى تخرج النطفة الميتة ، ويخرج النخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والبيض من الدجاج والدجاج من البيض .. والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن] .. وتجود ــ يا رب على من تشاء من خلقك ، بغير محاسبة لمن أعطيته لأن خزائنك لا تنقص ..

فالقرآن الكريم .. يعد جميع أولئك المعبودين باطلا .. ويجعل عبادتهم خطأ عظيما سواء تعبدهم الناس أو أطاعوهم أم تألهوا لهم .

ويقول : ان جميع من طفقتم تعبدونهم .. عباد الله وعبيده .. فلا يستحقون أن يعبدوا ، ولا أنتم مكتسبون من عبادتهم غير الخيبة والمذلة والخزى ..

وأن مالكهم فى الحقيقة .. ومالك جميع ما فى السموات والأرض هو الله الواحد .. وبيده وحده كل الأمر وجميع السلطات والصلاحيات .. ولأجل ذلك لا يجدر بالعبادة الا هو وحده ..

وبعد أن يقيم القرآن الكريم البرهان على كون جميع من عبدهم الناس بوجه من الوجوه عبيدا لله وعاجزين أمامه .. يدعو جميع الانس

---

(٣٥) آل عمران : ٢٦ ، ٢٧

والجن الى أن يعبدوا الله تعالى وحده بكل معنى من معانى العبـــادة المختلفة .. فلا تكن العبدية الا له .. ولا يطاع الا هو .. ولا يتأله المرء الا له .. ولا تكن حبة خردل من أى تلك الأنواع للعبادة لوجـــه غير الله ..

يقول تعالى : « **ذلكم الله ربكم له الملك ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو ســـمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثـــل خبير** »(٣٦) .

بعد أن عدد تعالى نعمه على خلقه فى الآيات السابقة على هذه الآية .. يقول : هذا هو معبودكم الذى يستحق العبادة .. وهو الله ربكم ، له الملك التام ، الذى لا شىء الا وهو فى ملكه وسلطانه .. والذين تعبدون من دونه ما يملكون قشر النواة .. ان تدعوا الآلهة التى تعبدونها لا يسمعوا دعاءكم لأنها جماد لا تفهم ما تقولون ، ولو سمعوا دعاءكم وفهموا قولكم بأن جعل لهم سمع يسمعون به ، ما استجابوا لكم لأنها ليست ناطقة ، ويوم القيامة تبرأ الآلهة التى تعبدونها من أن تكون فى الدنيا شريكا لله .. ولا يخبرك — يا محمد — عن الحقيقة مثل الله ذى الخبرة ، الذى لا يخفى عليه شىء ..

ويقول جل شأنه : « **قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا ، والله هو السميع العليم** »(٣٧) .

يأمر الله تعالى نبيه أن يقول لأولئك الكفرة الذين اتخذوا آلهـــة غير الله .. أتعبدون من لا يقدر على دفع ضر عنكم ، ولا جلب نفع لكم .. وتتركون القادر على كل شىء ؟ .. السميع لأقوال العباد العليم بأحوالهم !!

فالعبادة .. لا تكون الا لله وحده ..

والطاعة .. لا تكون الا لله تعالى وحده ..

والتأله .. لا يجوز الا لله وحده ..

---

(٣٦) فاطر : ١٣ ، ١٤ (٣٧) المائدة : ٧٦

وليست العبادة قاصرة على معنى التأله وحـــده .. أو بمعنى العبدية والاطاعة فحسب .. بل الحق ان القرآن الكريم يعرض دعوته باكملها .. ومن الواضح أنه ليست دعوة القرآن الا أن تكون العبدية والاطاعة والتأله .. كل اولئك خالصا لوجه الله تعالى ..

ولعله قد وضح لنا — الآن — أن مفهوم « العبادة » الأساسى هو أن يذعن المرء لعلاء أحد وغلبته .. ثم ينزل له عن حريته واستقلاله ، ويترك ازاءه كل المقاومة والعصيان وينقاد له انقيادا تاما .. وهذه هى حقيقة العبدية والعبودية ..

ومن ذلك أن أول ما يتمثل فى ذهن العربى لمجرد سماعه كلمـــة « العبد » ، و « العبادة » .. هو تصور العبدية والعبودية ..

وبما أن وظيفة العبد الحقيقية هى اطاعة سيده وامتثال آمره .. فمن الحتمى أن يتبعه تصور الاطاعة .

ثم اذا كان العبد لم يقف به الأمر على أن يكون قد أسلم نفسه لسيده طاعة وتذللا .. بل كان مع ذلك يعتقد بعلائه ويعترف بعلو شأنه ، وكان قلبه مفعما بعواطف الشكر والامتنان على نعمه وأياديه .. فانه يبالغ فى تمجيده وتعظيمه ، ويتفنن فى ابداء الشكر على آلائه ، وفى أداء شعائر العبدية له .. وكل ذلك اسمه التأله والتنسك ..

وهذا التصور لا ينضم الى معنى العبدية الا اذا كان العبـــد لا يخضع لسيده رأسه فحسب .. بل يخضع معه قلبه أيضا ..

وهكذا يتضح لنا .. أن حصر معانى كلمة العبادة فى معنى بعينه .. انما هو فى الحقيقة حصر لدعوة القرآن الكريم فى معان ضيقة .. ومن نتائجه المحتومة أن من آمن بدين الله وهو يتصور دعوة القرآن هذا التصور الضيق المحدود .. فانه لن يتبع تعاليمه الا اتباعا ناقصا محدودا ..

يقول تعالى : **« قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ، وأمرت أن أكون من المؤمنين »**(٣٨) .

---

(٣٨) يونس : ١٠٤

أى : ان كنتم — أيها المشركون فى شك من دينى الذى أدعوكم اليه .. فانى لا أعبد الآلهة والأوثان التى تعبدونها من دون الله .. والتى لا تسمع ولا تبصر ، ولكن أعبد الله الذى يقبض أرواحكم ، فيميتكم عند انتهاء آجالكم .. وأمرنى ربى أن أكون من المصدقين بما جاءنى من عنده ..

ويقول جل شأنه : **« ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان الحكم الا لله ، أمر ألا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »**(٣٩).

أى : ما تعبـــدون — أيها المشركون — من دون الله من الأوثان والأصنام .. الا مسميات لا تستحق الألوهية سميتموها أربابا وآلهة .. ما أنزل الله بها من حجة ، ولكنها اختلاق منكم وافتراء .. وما الحكم والتصرف الا لله وحده .. أمر عباده بألا يعبدوا الا اياه .. هـــذا هو الدين القويم الذى لا اعوجاج فيه .. ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك فلا يعلمون حقيقته ..

ويقول جل وعلا : **« قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبـــادة ربه أحدا »**(٤٠) .

يأمر الله رسوله ﷺ .. أن يقول للمشركين : انما أنا بشر من بنى آدم ، لا علم لى الا ما علمنى الله .. وقد أوحى الى أن معبودكم الذى يجب أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئا ، معبود واحد .. فمن كان يخاف ربه يوم لقائه ، ويراقبه ويرجو ثوابه ، فليخلص له العبادة ، ولا يجعل له شريكا فى عبادته (٤١) .

هذا هو المفهوم الاسلامى السليم لكلمة « العبادة » .. ويقول الدكتور يوسف القرضاوى — جزاه الله عن الاسلام خيرا — فى معنى العبادة التى هى من حق الله وحده :

---

(٣٩) يوسف : ٤٠ (٤٠) الكهف : ١١٠

(٤١) وانظـــر مبحث « العبادة » لأبى الأعلى المودودى فى كتابه : « المصطلحات الأربعة » — نشر دار التراث العربى ، عام ١٩٨٦ ففيه المزيد .

« العبادة » كلمة تتضمن معنيين .. امتزج أحدهما بالآخر فصارا شيئا واحدا .. هما نهاية الخضوع مع نهاية الحب ..

فالخضوع الكامل ، الممتزج بالحب الكامل .. هو معنى العبادة ..

فأما حب بلا خضوع ، أو خضوع بلا حب .. فلا يحقق معنى العبادة ، وكذلك بعض الخضوع مع بعض الحب ، فانه لا يحقق العبادة .. بل لا بد من كل الخضوع ، مع كل الحب ..

والعبادة .. ليست مقصورة على صورة واحدة ، كما يخيل لكثير من الناس .. بل لها أنواع وصور عديدة ..

فمنها .. الدعاء : أى الاتجاه الى الله تعالى بطلب نفع ، أو دفع ضر ، أو رفع بلاء ، أو طلب نصرة على العدو ، أو نحو ذلك ..

فهذا الاتجاه بالسؤال المنبعث من القلب لله تعالى هو مخ العبادة وروحها ، كما فى الحديث الشريف : « الدعاء هو العبادة »[٤٢] .

ومنها : اقامة الشعائر الدينية مثل الصلاة ، والصيام ، والصدقة ، والحج ، والنذر ، والذبح ، وما شابه ذلك .. فلا يجوز أن توجه هذه الشعائر الا لله ..

فلا يجوز الصلاة لغير الله ، ولا الصيام ، والصدقة ، والنذر ، والذبح ، وغيرها من الشعائر ..

ومنها : الانقياد والاذعان الدينى لما شرع الله من أحكام .. أحل بها الحلال ، وحرم الحرام ، وحد الحدود ، ونظم شئون الحياة ..

فلا يجوز لمن آمن بالله ربا أن يأخذ عن البشر النظم والأحكام والقيم والقوانين .. يخضع لها ويحكمها فى حياته بغير سلطان من الله .. فهذا ضرب من العبادة »[٤٣] .

* * *

---

(٤٢) رواه الترمذى

(٤٣) انظر « حقيقة التوحيد » للدكتور يوسف القرضاوى ، نشر مكتبة وهبة ص ٢٢ ، ٢٣

● **الشرك ، والكفر ، والالحاد :**

بسطنا فى الصفحات السابقة معنى كلمة « العبادة » •• ونعرض فى ايجاز معنى كلمات : « الشرك » و « الكفر » •• و « الالحاد » •• اتماما للفائدة •• ننقول وبالله العون :

● يقول ابن منظور فى « لسان العرب » تعريفا للشرك : أشرك بالله ، جعل له شريكا فى ملكه — تعالى الله عن ذلك — والاسم « الشرك » •• قال الله تعالى حكاية عن عبده لقمان ، أنه قال لابنه : **« يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم »**(٤٤) .

والشرك : أن يجعل لله شريكا فى ربوبيته — تعالى الله عن الشركاء ، والأنداد — وانما دخلت التاء فى قوله : **« لا تشرك بالله »** لأن معناه : لا تعدل به غير فتجعله شريكا له ••

وكذلك قوله تعالى : **« وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا »**(٤٥) لأن معناه : عدلوا به •• ومن عدل به شيئا من خلقه فهو كافر مشرك •• لأن الله وحده لا شريك له ، ولأنه لا ند له ولا نديد ••

قال أبو العباس فى قوله تعالى : **« والذين هم به مشركون »**(٤٦) معناه : الذين هم صاروا مشركين بطاعتهم للشيطان ••

وليس المعنى أنهم آمنوا بالله وأشركوا بالشيطان •• ولكن عبدوا الله وعبدوا معه الشيطان — بطاعته — فصاروا بذلك مشركين ••

قال الجوهرى : الشرك ، الكفر •• وقد أشرك فلان بالله ، فهو مشرك ••

وفى الحديث الشريف : « الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل » •• قال ابن الأثير : يريد به الرياء فى العمل ، فكأنه أشرك فى عمله غير الله تعالى •• ومنه قوله تعالى : **« ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »**(٤٧) .

---

(٤٤) لقمان : ١٣ (٤٥) الاعراف : ٣٣
(٤٦) النحل : ١٠٠ (٤٧) الكهف : ١١٠

وفى الحديث أيضا : « من حلف بغير الله فقد أشرك » .. حيث جعل مالا يحلف به محلوفا به كاسم الله الذى يكون به القسم ..

● والكفر : نقيض الايمان .. والكفر أيضا : كفر النعمة وجحودها ، وهو نقيض الشكر ..

وكفر النعمة : جحدها وسترها .. قال تعالى : « **انا بكل كافرون** »[٤٨] .. أى جاحدون .. ورجل كافر : جاحد لأنعم الله ، وهو مشتق من الستر ..

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « قتال المسلم كفر ، وسبابه فسوق ، ومن رغب عن أبيه فقد كفر » ..

وقال بعض أهل العلم : الكفر على أربعة أنحاء : كفر انكار ، بأن لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به .. وكفر جحود .. وكفر معاندة .. وكفر نفاق ، ومن لقى ربه بشىء من ذلك لم يغفر له ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ..

فأما كفر الانكار : فهو أن يكفر بقلبه ولسانه ، ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد .. وكذلك روى فى قوله تعالى : « **ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** »[٤٩] .. أى الذين كفروا بتوحيد الله ..

وأما كفر الجحود : فأن يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه ، فهو كافر جاحد .. ككفر ابليس وكفر أمية بن أبى الصلت .. ومنه قوله تعالى : « **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به** »[٥٠] .. يعنى كفر الجحود ..

وأما كفر المعاندة : فهو أن يعرف الله بقلبه ، ويقر بلسانه .. ولكنه لا يدين به حسدا وبغيا ككفر أبى جهل وأضرابه .. وفى « التهذيب » : يعترف بقلبه ويقر بلسانه ، ويأبى أن يقبل .. كأبى طالب حيث يقول :

---

(٤٨) القصص : ٤٨ (٤٩) البقرة : ٦
(٥٠) البقرة : ٨٩

ولقـد علمت بأن دين محمـد من خـير أديان البرية دينـا
لولا الملامـة أو حـذار مسـبة لوجـدتنى سـمحا بذاك مبينـا

وأما عن كفر النفاق : فأن يقر بلسانه ، ويكفر قلبه ، ولا يعتقد بقلبه ..

كتب عبد الملك بن مروان الى سعيد بن جبير يسأله عن الكفر فقال : « الكفر على وجوه : فكفر هو شرك ، يتخذ مع الله الهاً آخر .. وكفر بكتاب الله ورسوله .. وكفر بادعاء ولد لله .. وكفر مدعى الاسلام ، وهو أن يعمل أعمالا بغير ما أنزل الله ، ويسعى فى الأرض فسادا ، ويقتل نفسا محرمة بغير حق » ..

وقوله سبحانه : « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** » (٥١) .. معناه : أن من زعم أن حكما من أحكام الله الذى أتت به الأنبياء — عليهم السلام — باطل .. فهو كافر .

وسئل ابن عباس — رضى الله عنهما — عن هذه الآية فقال : « وليسوا كمن كفر بالله واليوم الآخر » ..

وقد أجمع الفقهاء .. أن من قال : ان المحصنين لا يجب أن يرجما اذا زنيا وكانا حرين ، كافر .. وانما كفر من رد حكما من أحكام النبى ﷺ لأنه مكذب كافر ..

وفى الحديث : أن رسول الله ﷺ قال فى حجة الوداع : « لاترجعن بعدى كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض » .

وقال ﷺ : « من قال لأخيه : يا كافر .. فقد باء به أحدهما » .. لأنه اما أن يصدق عليه أو يكذب ، فان صدق فهو كافر ، وان كذب عاد الكفر اليه بتكفيره أخاه المسلم .

ومن أنكر فرضية أحد أركان الاسلام .. كان كافرا بالاجماع .. ومن أنكر شيئا معلوما من الدين بالضرورة ، كان كافرا — أعاذنا الله من ذلك ..

---

(٥١) المائدة : ٤٤

● أما معنى الالحاد : فالالحاد هو الميل ، والعدول ، والجور • يقال : لحد فى الدين وألحد : أى مال وعدل •• ويقال : مال وجار ••

ويقول ابن السكيت : الملحد : العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه •• يقال : قد ألحد فى الدين ولحد : أى حاد عنه •• وألحد الرجل : أى ظلم فى الحرم ، وأصله قوله تعالى : « **ومن يرد فيه بالحـاد بظلم** »[٥٢] •• أى الحادا بظلم ••

ومعنى الالحاد فى اللغة : الميل عن القصد •• ولحـد على من شهادته ، يلحد لحدا : أثم •• ولحد اليه بلسانه : مال ••

ويقول الأزهرى فى قوله تعالى : « **لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين** »[٥٣] •

•• قال الفراء : قرىء يلحدون ــ بفتح الياء والحاء مع تسكين اللام ــ أراد يميلون اليه •• ويلحدون ــ بضم الياء وكسر الحاء ــ : يعترضون •• قال : وقوله سبحانه : « **ومن يرد فيه بالحاد بظلم** » •• أى باعتراض ••

وفى الحديث الشريف : « احتكار الطعام فى الحرم الحاد فيه » أى ظلم وعدوان •• وأصل الالحاد •• الميل والعدول عن الشىء[٥٤] •

* * *

● **عقيدة أهل التوحيد فى الاله المعبود ، وفى الرسول الخاتم :**

يقول الله تعالى : « **هو الله الذى لا اله الا هـو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم • هو الله الذى لا اله الا هـو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سـبحان الله عما يشركون • هو الله الخالق البارىء المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم** »[٥٥] •

---

(٥٢) الحج : ٢٥ (٥٣) النحل : ١٠٣

(٥٤) انظر : « منهاج الصالحين .. من أحاديث وسنة خاتم الانبياء والمرسلين » للاستاذ عز الدين بليق ، ص ٩٤ ــ ٩٨ بتصرف ،

(٥٥) الحشر : ٢٢ ــ ٢٤

فالله تعالى : هو المعبود الذى لا تنبغى العبادة والألوهية الا له ..
هو عالم غيب السموات والأرض ، وشاهد ما فيهما مما يرى ويحس ..

هو رحمن الدنيا والآخرة .. رحيم بأهل الايمان به ..

هو المعبود الذى لا تصلح العبادة الا له .. الملك الذى لا ملك فوقه ..

هو الطاهر من كل ما يضيف اليه المشركون ، ويصفونه مما ليس من صفاته ..

هو — تعالى — الذى يسلم خلقه من ظلمه .. والذى يؤمن خلقه من ظلمه .. الرقيب الحافظ لكل شىء .. الشديد فى انتقامه ممن انتقم من أعدائه .. المصلح أمور خلقه ، يصرفهم فيما فيه صلاحهم .. الذى تكبر عن كل شىء .. تنزه تعالى عن شرك المشركين ..

وهو المصدق لرسله باظهار المعجزات على أيديهم .. القهار العالى الجناب الذى يذل له من دونه ..

هو تعالى — المعبود الخالق الذى لا معبود تصلح له العبادة غيره ، ولا خالق سواه .. الذى برأ الخلق فأوجدهم بقدرته ، والذى صور خلقه كيف شاء ..

له تعالى الأسماء الحسنى .. يسبح له جميع ما فى السموات والأرض ، ويسجد له طوعا وكرها .. وهو — تعالى — الشديد الانتقام من أعدائه .. الحكيم فى تدبيره خلقه ، وتصريفهم فيما فيه صلاحهم.

هذه الأسماء الحسنى .. التى ذكرها تعالى وغيرها توقيفية .. ويجب الاقتصار على ما ورد فى الكتاب والسنة ، مما سمى الله به نفسه فى كتابه ، أو سماه بها رسوله ﷺ .. فلا يجوز أن نخترع له أسماء كأن نقول : الله « مهندس الكون » .. أو « طبيب القلوب » .. الخ .

وأهل التوحيد .. يؤمنون بأن الله تعالى : « واحد لا شريك له ، فرد لا مثيل له ، صمد لا ضد له ، منفرد لا ند له ، واحد قديم لا أول له ،

أزلى لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له . أبدى لا نهاية له ، قيوم لا انقطاع له ، دائم لا انصرام له .. لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال ، لا يقضى عليه بالانقضاء وتصرم الآباد ، وانقراض الآجال ، بل هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم »(٥٦) .

يؤمن أهل التوحيد : بأنه تعالى : « ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدود مقدر ، فانه لا يماثل الأجسام لا فى التقدير ولا قبول الانقسام ، فانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ، ولا بعرض ، بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ، ليس كمثله شيء ، ، وأنه لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحويه الجهات ، ولا تكتنفه السموات ، وأنه مستو على العرش ، على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده ، استواء منزها عن المماسة والاستقرار ، والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون فى قبضته ، وهو فوق العرش ، وفوق كل شيء الى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء ، بل هو رفيع الدرجات على العرش .

كما أنه رفيع الدرجات على الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد ، فهو على كل شيء شهيد ، اذ لا يماثل قربه قرب الأجسام ، كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام ..

وأنه لا يحل فى شيء ، ولا يحل فيه شيء ، تعالى أن يحويه مكان ، كما تقدس عن أن يحده زمان ، بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما عليه كان ..

وأنه — تعالى — بائن عن خلقه بصفاته ، ليس فى ذاته سواه ، ولا فى سواه ذاته ..

وأنه مقدس عن التغيير والانتقال ، ولا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض ، بل لم يزل ولا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال ، وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال ..

---

(٥٦) بداية الهداية ، لأبى حامد الغزالى ، نشر دار التراث العربى ، ١٩٨٦ ، ص ١٩ .

وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول ، مرئى الذات بالأبصار ، نعمة منه ولطفاً بالأبرار فى دار القرار ، واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم »[٥٧] .

يؤمن أهل التوحيد بأنه تعالى : « حى قادر ، جبار قاهر ، لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، انه ذو الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، له السلطان والقهر ، والخلق والأمر ، والسموات مطويات بيمينه ، والخلائق مقهورون فى قبضته ..

وأنه — تعالى — منفرد بالخلق والاختراع ، متوحد بالايجاد والابداع ، خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لا يشذ عن قبضته مقدور ، ولا تعزب عن ارادته تصاريف الأمور ، لا تحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته »[٥٨] .

يؤمن أهل التوحيد بأنه تعالى : « عالم بجميع المعلومات ، محيط بما يجرى من تخوم الأرض الى أعلى السموات ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ، يدرك حركة الذر فى الهواء ، يعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، وخفيات السرائر ، بعلم قديم أزلى ، لم يزل موصوفا به فى أزل الأزل ، لا بعلم مجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال »[٥٩] .

يؤمن أهل التوحيد بأنه تعالى : « مريد للكائنات ، مريد للحادثات ، فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل ولا كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شر ، نفع أو ضر ، ايمان أو كفر ، عرفان أو نكر ، فوز أو خسر ، زيادة أو نقصان ، طاعة أو عصيان ، كفر أو ايمان ، الا بقضائه وقدره ، وحكمه ومشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ، ولا فلتة خاطر ، بل هو المبدىء المعيد ، والفعال لما يريد ،

---

(٥٧) بداية الهداية ، مرجع سابق ، ص ١٩ ، ٢٠ .
(٥٨) المرجع نفسه ص ٢١ .. (٥٩) نفس المرجع ص ٢١ .

لا راد لحكمه ، ولا معقب لقضائه ، ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ، ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته ، لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها عجزوا عنه ..

وأن ارادته قائمة بذاته ، فى جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصوفا مريدا فى أزله ، سبقت ارادته وجود الأشياء فى أوقاتها التى قدرها ، فوجدت فى أوقاتها كما أراده فى أزله ، من غير تقدم أو تأخر ، ووقعت على وفق علمه وارادته ، من غير تبدل ولا تغير ، دبر الأمور لا بترتيب أفكار وتريض زمان ، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن »[٦٠] ..

يؤمن أهل التوحيد بأنه تعالى : « سميع بصير ، يسمع ويرى ، لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفى ، ولا يغيب عن رؤيته مرئى وان دق ، ولا يحجب سمعه بعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، يرى من غير حدقة وأجفان ، ويسمع من غير أصمخة وآذان ، كما يعلم بغير قلب ، ويبطش بغير جارحة ، ويخلق بغير آلة ، اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق ، كما لا تشبه ذاته ذات الخلق »[٦١] .

يؤمن أهل التوحيد بأنه تعالى : « متكلم آمر ناه ، واعد متوعد ، بكلام أزلى قديم ، قائم بذاته ، لا يشبه كلام الخلق ، وليس بصوت يحدث من انسلال هواء ، ولا حرف ينقطع باطباق شفة أو تحريك لسان ، والقرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله .. وأن القرآن مقروء بالألسنة ، مكتوب فى المصاحف ، محفوظ فى القلوب ، وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله ، لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب أو الأوراق ، وأن موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف ، كما يرى الأبرار ذات الله — يوم القيامة — من غير جوهر ولا عرض ، واذ كانت له هذه الصفات كان حيا عالما ، قديرا مريدا ، سميعا بصيرا ، متكلما بالحياة والقدرة ، والعلم والارادة ، والسمع والبصر ، والكلام لا بمجرد الذات »[٦٢] .

---

(٦٠) بداية الهداية ، المرجع السابق ص ٢٢ .

(٦١) المرجع نفسه ص ٢٢ ، ٢٣ (٦٢) نفس المرجع ص ٢٣

يؤمن أهل التوحيد بأنه تعالى : « لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه ، وأكملها وأتمها وأعدلها ، وأنه حكيم فى أفعاله ، عادل فى أقضيته ، لا يقاس عدله بعدل العباد ، اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ، ولا يتصور الظلم من الله ، فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى لا يكون تصرفه فيه ظلما ، وكل ما سواه من جن وانس ، وشيطان وملك ، وسماء وأرض ، وحيوان ونبات ، وجوهر وعرض ومدر ، هو محسوس حادث ، اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا ، وأنشأه بعد أن لم يكن شـــيئا ، اذ كان فى الأزل موجودا وحده ، ولم يكن معه غيره ، فأحدث الخلق بعد أن لم يكن اظهارا لقدرته ، وأنشأه بعد أن لم يكن شـــيئا . .

وأنه ـــ تعالى ـــ متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ، ومتصف بالانعام والاصلاح لا عن لزوم ، فله الفضل والاحســـان ، والنعمة والامتنان ، اذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ، ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ، ولو فعل ذلك لكان ذلك منه عدلا ، ولم يكن قبيحا ولا ظلما ، وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد ، لا بحكم الاستحقاق واللزوم ، اذ لا يجب عليه فعل ، ولا يتصور منه ظلم ، ولا يجب عليه لأحد حق ، فان حقه فى الطاعات واجب على الخلق بايجابه على لسان أنبيائه لا بمجرد العقل ، ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة ، فبلغوا أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، فأوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به »[٦٣] .

* * *

● الله تعالى فى عقيدة الاسلام : « **ليس كمثله شىء** »[٦٤] .. ومما يقتضيه العقل : أن خالق العالم لا يشبه خلقه ، فالصانع لا يشبه

---

(٦٣) بداية الهداية ، المرجع السابق ص ٢٣ ، ٢٤

(٦٤) الشورى : ١١

الصنعة ، والتكيف والتحديد لا يكونان الا فى المخلوق لأنهما صفتان للمحدث[٦٥] ..

ولهذا يعتقد أهل التوحيد : أن الله تبارك وتعالى متصف بصفات الجلال والكمال من الحياة ، والقدرة ، والعلم والارادة : « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** »[٦٦] .

وأنه تعالى هو المخترع لجميع المخلوقات : العرش وما حوى .. والسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى ..

وأنه خلق الخلق من غير احتياج اليهم .. ولم يدركه تعالى نصب فى ايجاده لهم .. قال تعالى : « **ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب** »[٦٧] .. أى تعب ونصب .

وأنه ليس فى خلقه علة لمعلول .. وليس تقديم بعضها على بعض لحق واجب ، ولا تأخير متأخر منها لاضطرار لازم ، ولا نفى جمع الضدين لعجز واقع ، ولا تناهى مخلوقاته وانحصارها لضعف لاحق .. بل كان ذلك منه تعالى لاختيار وحكمة يعلمها هو عز وجل .. وأن كل نعمة منه منة وفضل ، وكل محنة وضلالة عدل منه وحكمة ..

وأنه لا يدرك بالعقل .. ولا يتصور بالوهم .. قال تعالى : « **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** »[٦٨] .. بل السبيل الى معرفته العجز عن ادراكه ، كما قال أبو بكر رضى الله عنه : « سبحان من لا يوصل الى معرفته الا بالعجز عن معرفته » ..

وفى ذلك يقول الامام مالك رضى الله عنه : « كل ما يقع فى القلب فالله بخلافه ، وذلك أن كل ما يقع فى القلب انما هو خلق من خلق الله تعالى .. ولا يشبه الخالق المخلوق » ..

ويقول الشافعى رضى الله عنه : « آمنت بالله كما أمر الله »

---

(٦٥) انظر « اتحاف الكائنات » — لفضيلة الشيخ محمود خطاب السبكى ..

(٦٦) الملك : ١٤ (٦٧) سورة ق : ٣٨

(٦٨) الأنعام : ١٠٣

فهو الواحد الأحد ، الموجود بلا ابتداء ، الباقي بلا انتهاء ، الظاهر بصفاته وأفعاله ، الباطن بكنهه وذاته : « **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** »(٦٩) .. وهو الغنى عما سواه ، المحتاج اليه كل ما عداه : « **يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد** »(٧٠) .. كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان ولا يزال على ما هو عليه .. تنزه عن المكان والجهة وصفات الحوادث والتغيرات والأعراض ..

كما يعتقد أهل التوحيد : أن الله تعالى هو المتصرف فى خلقه بمقتضى حكمته وقدرته وارادته .. فكل ما يصدر فى العالم من حركات وسكنات وخواطر وغيرها — دق أو عظم — بمحض خلقه تعالى وايجاده .. وتصرفات العباد الاختيارية ليس لهم فيها الا الكسب .. قال تعالى : « **وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** »(٧١) .. فأثبت الرمى للنبى ﷺ من جهة المباشرة والاختيار .. وحقيقته للرب من حيث الايجاد والاختيار ..

وأيضا .. لو انفرد واحد من العالم بايجاد ذرة لكان شريكا له .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا : « **قل هو الله أحد** »(٧٢) ، « **والهكم اله واحد** »(٧٣) ، « **لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا** »(٧٤) ، « **والله خلقكم وما تعملون** »(٧٥) .

ولو لم يكن للعبد كسب ما صح تكليفه ولا خوطب بنحو قوله تعالى : « **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** »(٧٦) .. وقوله : « **وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون** »(٧٧) .

كما يعتقد أهل التوحيد : أن ترتب الثواب على الطاعات ، والعقاب على المخالفات أمر ثابت بالشرع لا دخل للعقل فيه ..

---

(٦٩) الحديد : ٣
(٧٠) فاطر : ١٥
(٧١) الأنفال : ١٧
(٧٢) الاخلاص : ١
(٧٣) البقرة : ١٦٣
(٧٤) الأنبياء : ٢٢
(٧٥) الصافات : ٩٦
(٧٦) الشورى : ٣٠
(٧٧) الزخرف : ٧٢

وأن ربط المسببات بأسبابها العادية انما هو لحكمة اقتضتها ارادة الله الأزلية : كوجود الرى عند شرب المـــاء ..

ولله تعالى خرق العوائد .. فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب وبالعكس .. قال تعالى : « **يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم** »(٧٨) .

وأنه لا مانع لمـــا أراد .. ولا راد لمـــا قضى ..

وأن كلام الله تعالى قديم ليس بحرف ولا صوت ..

وأن القرآن كلامه عز وجل .. أنزله على نبينا محمد ﷺ كما أنزل التوراة على موسى ، والانجيل على عيسى ، والزبور على داوود ، والصحف على ابراهيم وموسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ..

وأن الله تعالى قد أرسل لعباده أنبياء ورسلا .. مبشرين ومنذرين .. لا يعلم عددهم الا الله تعالى .. قال سبحانه : « **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك** »(٧٩) .

وأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاتم الأنبياء .. أرسله الله تعالى للناس كافة .. قال تعالى : « **ما كان محمد أبا أحـــد من رجالكم ولكن رســـول الله وخاتم النبيين** »(٨٠) .

وقال جل شأنه : « **وما أرسلناك الا كافة للناس** »(٨١) .

ويعتقد أهل التوحيد : أن لله تعالى ملائكة : « **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** »(٨٢) .. وهم لا يوصـــفون بذكورة ولا بأنوثة ..

وأن سؤال القبر ونعيمه للطائعين ، وعذابه للعاصين : حق ..

وأن البعث ، والحساب ، والميزان ، وأخذ الخلق كتبهم بأيديهم ، وغير ذلك مما هو ثابت بالكتاب والسنة : حق ..

وأن الشفاعة العظمى فى فصل القضاء مختصة بسيدنا محمـــد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ..

---

(٧٨) الأنبياء : ٦٩
(٧٩) غافر : ٧٨
(٨٠) الأحزاب : ٤٠
(٨١) سبأ : ٢٨
(٨٢) التحريم : ٦

وأن من مات مسلما يخلد فى الجنة .. ومن مات على غير الاسلام يخلد فى النار ..

وأن مرتكب المعاصى — غير الكفر — ليس بكافر ..

وأن المؤمنين سيرون ربهم فى الجنة بلا كيف ولا انحصار .. قال تعالى : « **وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة** »(٨٣) .

ولأهل السنة — أهل التوحيد — المتمسكون بكتاب ربهم وسنة نبيهم صفات يتصفون بها ..

منها : الصدق ، وقول الحق ، والأمانة ، والوفاء ، واتباع السنة ، وترك الابتداع ، وبذل الجهد فى الطاعة ، والاعتراف بالتقصير ، والتوكل والتسليم ، والرضا بالقضاء والقدر ، والاخلاص فى السر والعلانية ، والاعتدال فى حالتى الرضا والغضب ..

ومنها : كظم الغيظ ، والعفو عن الظالمين ، والاحسان ولو الى المسىء ، وبذل النصيحة من غير غش ، والتواضع بلا ذلة وتماوت ، والتراحم والاشفاق ، وايثار الغير ، والتوادد والتعاطف .. وذلك كما وصفهم الله تعالى بقوله : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله** »(٨٤) .

وقوله سبحانه : « **الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين**»(٨٥) .

وقوله جل شأنه : « **أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود** »(٨٦) .

وقوله جل وعلا : « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** »(٨٧) .

---

(٨٣) القيامة : ٢٢ ، ٢٣
(٨٤) التوبة : ٧١
(٨٥) آل عمران : ١٣٤
(٨٦) الفتح : ٢٩
(٨٧) الحشر : ٩

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد : اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى »(٨٨) .

ويقول أبو حامد الغزالى : «بعث الله النبى الأمى القرشى «محمداً» ﷺ برسالته الى كافة العرب والعجم ، والجن والانس .. فنسخ بشريعته الشرائع الا ما قرر ، وفضله على سائر الأنبياء ، وجعله سيد البشر ، ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد — وهى قول : لا اله الا الله — ما لم تقترن به شهادة الرسول وهو قولك : « محمد رسول الله » .. وألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من أمر الدنيا والآخرة ..

« وأنه لا يتقبل ايمان عبد حتى يوقن بما أخبر عنه بعد الموت .. وأوله : سؤال منكر ونكير ، وهما شخصان مهيبان هائلان ، يقعدان الميت فى قبره سويا ، ذا روح وجسد . فيسألانه عن التوحيد والرسالة ، ويقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وهما فتانا القبر ، وسؤالهما أول فتنة بعد الموت ..

« وأن تؤمن بعذاب القبر ، وأنه حق وحكمة وعدل على الجسم والروح على من يشاء ..

« وتؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان ، وصفته فى العظم مثل طباق السموات والأرض ، وتوزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى ، والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل ، تحقيقا لتمام العدل ، وتطرح فيه صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور ، فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله ، وتطرح صحائف السيئات فى كفة الظلمة ، فيخف بها الميزان بعدل الله ..

« وأن تؤمن بأن الصراط حق ، وهو جسر ممدود على متن جهنم ، أحد من السيف ، وأدق من الشعر ، تزل عنه أقدام الكافرين بحكم الله فتهوى بهم الى النار ، وتثبت عليه أقدام المؤمنين فيساقون الى دار القرار ..

---

(٨٨) رواه أحمد ومسلم .

« وأن تؤمن بالحوض المورود .. حوض « محمد » ﷺ ، يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة ، وبعد جواز الصراط ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، عرضه مسيرة شهر ، أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، حوله أباريق عددها نجوم السماء ، فيه ميزابان من الكوثر ..

« وأن تؤمن بالحسنات وتفاوت الخلق فيها : الى مناقش فى الحساب ، والى متسامح فيه ، والى من يدخل الجنة بغير حساب — وهم المقربون — فيسأل من يشاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ، ومن يشاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ، ويسأل المبتدعة عن السنة ، ويسأل المسلمين عن الأعمال ..

« وتؤمن باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام ، حتى لا يبقى فى جهنم منهم موحد بفضل الله تعالى ..

« وتؤمن بشفاعة الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء ، ثم سائر المؤمنين .. كل حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ، ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله ، فلا يخلد فى النار مؤمن ، بل يخرج منها كل من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ..

« وأن تعتقد فضل الصحابة ورتبتهم ، وأن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على — رضى الله عنهم ، وأن تحسن الظن بجميع الصحابة ، وتثنى عليهم كما أثنى الله عليهم ورسوله أجمعين ..

« فكل ذلك مما وردت به الأخبار ، وشهدت به الآثار .. فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق ، وعصابة السنة ، وفارق رهط الضلال ، وحزب البدعة .. فنسأل الله اليقين ، والثبات فى الدين ، لنا ولكافة المسلمين .. انه أرحم الراحمين »[٨٩] ..

* * *

(٨٩) بداية الهداية ، مرجع سابق ، ص ٢٥ — ٢٧

ما أحوجنا اليوم — معشر المسلمين — الى الكلمة السواء !!

ما أحوجنا الى كلمة التوحيد ، فلا نعبد الا الله .. ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله !!

ما أحوجنا لأن نقول للأمم كلها : اشهدوا بأنا مسلمون !!

يقول تعالى : « **ان الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب** »(٩٠) .

فالدين الذى شرعه الله ، وبعث به رسله ، والذى لا يقبل غيره هو الاسلام .. وما اختلف النصارى — الذين أوتوا الانجيل — فى أمر عيسى عليه السلام — الا من بعد ما علموا الحق عن يقين ، تعديا من بعضهم على بعض وطلبا للرياسة والملك والسلطان ..

وينوعد تعالى من يجحد حججه وبراهينه التى نصبها لمن عقل واعتبر .. بأنه تعالى محص على كل انسان أعماله ، ومجازيه عليها بغير كلفة ولا مؤنة ، ولا معاناة للحساب .

ومعنى « سريع الحساب » — والله أعلم — أنه يحاسب الخلائق قاطبة فى أقرب زمان ، لأنه لا يشغله شأن عن شأن ..

ويقول جل شأنه : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** »(٩١) .

يؤكد تعالى .. أن من طلب ديناً غير الاسلام — فانه تعالى لن يقبل منه ذلك ، ويكون العبد بذلك قد خسر رحمة الله عز وجل .

ويقول جل وعلا : « **ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين** »(٩٢) .

أى أن من يجحد وحدانية الله ، ونبوة محمد ﷺ ، ويرتد عن الاسلام فقد بطل ثواب عمله ، وهو يوم القيامة من الهالكين .

---

(٩٠) آل عمران : ١٩ (٩١) آل عمران : ٨٥

(٩٢) المائدة : ٥

ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم .. اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر .. لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد .. حتى جلس الى النبى ﷺ فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه[٩٣] .. وقال : يا محمد ، أخبرنى عن الاسلام ؟

فقال رسول الله ﷺ : « الاسلام : أن تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا » .

قال : صدقت . فتعجبنا منه ، يسأله ويصدقه !! [٩٤] .

قال : فأخبرنى عن الايمان ؟

قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

قال : صدقت .. فأخبرنى عن الاحسان ؟

قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » .

قال : فأخبرنى عن الساعة ؟ قال : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » ..

قال : فأخبرنى عن أماراتها ؟ . قال : « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان »[٩٥] .

ثم انطلق ، فلبثت مليا [٩٦] .. ثم قال : « يا عمر ، أتدرى من السائل » ؟ . قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فانه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم »[٩٧] .

---

(٩٣) أى كهيئة الجالس للتشهد فى الصلاة .

(٩٤) وجه العجب أن السؤال يدل على عدم علم السائل ، والتصديق يدل على علمه .

(٩٥) أى تكثر السرارى حتى تلد الامة السرية بنتا لسيدها ، وبنت السيد فى معنى السيد ، والعالة : هم الفقراء ، والرعاء — بكسر أوله وبالمد : جمع راع ، والشاء : الغنم .

(٩٦) أى زمنا طويلا ، وكان ذلك ثلاثة أيام .

(٩٧) رواه مسلم .

فالاسلام : هو شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا ..

والايمان : هو الايمان بالله تعالى ، وبملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقضاء خيره وشره ..

والاحسان : أن تعبد الله كأنك تراه .. فانه ان لم تكن تراه فانه سبحانه يراك ..

الايمان اذن : هو التصديق بالقلب ، والاقرار باللسان ، والعمل بالجوارح ..

ولهذا يقول الرسول ﷺ : « ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » ..

لذا .. عندما أعلن بعض الأعراب ايمانهم .. رد الله زعمهم بقوله : **« قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ، وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ، ان الله غفور رحيم . انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون »**(٩٨) .

كان ذلك .. عندما قدم ناس من الأعراب الى المدينة فى سنة مجدبة .. وامتنوا على الرسول ﷺ باسلامهم .. فقالوا : يا رسول الله ، جئناك مؤمنين ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان . .

وأخذوا يمتنون عليه بالايمان وعدم القتال .. فنزلت الآية وفيها يقول تعالى : يقول لك الأعراب : صدقنا بالله ورسوله فنحن مؤمنون .. فقل لهم يا محمد : لستم بمؤمنين حقيقة ، فلا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا .. لأن الاسلام قول ، والايمان قول وعمل .. وحتى الآن لم يدخل العلم بشرائع الايمان وحقائق معانيه فى قلوبكم ..

وان تطيعوا الله ورسوله — أيها الأعراب — فتأتمروا بأمره

---

(٩٨) الحجرات : ١٤ ، ١٥

وتنتهوا عما نهاكم عنـــه ، لا يظلمكم الله من أجور أعمـــالكم شيئا ، ولا ينقصكم من ثوابها مثقال ذرة •• فهو تعالى غفور لمن تاب من سالف ذنبه وأطاعه ، وهو جل شأنه رحيم بخلقه أن يعاقبهم بعد توبتهم ••

فالمؤمنون ــ كاملو الايمان ــ هم الذين صدقوا الله ورسوله •• ثم لم يشكوا فى وحدانيته تعالى ، ولا فى نبوة رسوله ﷺ ، ولا فى الفرائض التى افترضها الله عليهم ••

وتدلنا الآية •• أن الايمان أعلى مرتبة من الاسلام •• فالايمـــان اعتقاد وقول وعمل •• أما الاسلام فانه الاستسلام والانقياد الظاهر •

ولهذا نراه تعالى يؤدبهم وينبههم الى أن المؤمن الحقيقى هو من صدق ايمانه بعمله •• لا من انتحل الايمان بالكلام ، وامتن بايمانه على الرسول ﷺ ••

يقول تعالى ــ بعد هذه الآية : « **يمنون عليك أن أسلموا ، قـــل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين • ان الله يعلم غيب السموات والأرض ، والله بصـــير بما تعملون** »(٩٩) •

أى : ان هؤلاء الأعراب •• يمنون عليك ــ أيها الرسول ــ بأن أسلموا •• فقل لهم : لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله تعالى يمن عليكم ــ أيها القوم ــ أن وفقكم للايمان به وبرسوله ، هذا ان كنتم صادقين فى قولكم أنكم آمنتم ••

فالله تعالى ــ يعلم ما غاب عنكم فى خبايا السموات والأرض ــ لا يخفى عليه الصادق من الكاذب •• يعلم ما تكنه صدوركم وتحدثون به أنفسكم •• وهو ــ تعالى ــ بصير بأعمالكم التى تعملونها جهرا كانت أم سرا ، وهو مجازيكم على جميع ذلك ••

وبعد •• فهل نحن مسلمون حقا : فلا نعبد الا الله تعالى ، ولا نطيع الا رسوله ﷺ ؟ • •

---

(٩٩) الحجرات : ١٧ ، ١٨

هل نقوم بالفرائض التى افترضها الله علينا ، تماما كما افترضها علينا ؟

هل نحن مؤمنون حقا بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر .. ونؤمن بالقضاء خيره ، وشره ؟

هل نحن محسنون حقا : فنعبد الله كأننا نراه .. ونؤمن فى قرارة أنفسنا أنه ولو أننا لا نراه ، فانه تعالى يرانا ؟ ؟

* * *

● **وقفة لا بد منها :**

هنا .. يجب أن نتوقف قليلا لكى نراجع أنفسنا ، وننظر فى أحوالنا ونتدبر أمورنا .. حتى نرى ما اذا كنا نسير على نفس الطريق الذى سلكه أسلافنا فى الصدر الأول للاسلام .. أم أننا تنكبنا هذه الطريق ؟ !

لقد جاهد الأسلاف العظام لاقامة الاسلام على نفس الدعائم التى أنزلها الله تعالى والأسس التى وضعها رسوله .. ولهذا تركوا لنا الاسلام قويا ، عزيز الجانب ، يملأ أركان الدنيا بعدله وسماحته ..

فهل حافظنا على هذه الأمانة التى تركها لنا أسلافنا أم ضيعناها ؟

هل تمسكنا بالرسالة التى حملها لنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، أم فرطنا فيها ؟؟

لقد أمر الله تعالى بنى اسرائيل، أن يدخلوا الى المدينة المقدسة خاضعين خاشعين ، مقرين بآثامهم ، داعين الله تعالى أن يحط عنهم خطاياهم وأوزارهم .. وأمرهم — تعالى — بأن يقولوا فى دعائهم « حطة » .. أى يا رب احطط عنا ذنوبنا ..

ولكن الذين ظلموا منهم بدلوا قولا غير الذى أمرهم به ربهم فزادوا عليه حرفا واحدا .. فقالوا « حنطة » — بدلا من « حطة » .. فاستهزأوا بذلك القول من نبيهم ودخلوا المدينة وهم يزحفون على أستاههم !!

يقول تعالى : **« وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث**

شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيآتكم ، سنزيد المحسنين • فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم »(١٠٠) •

فماذا كان جزاؤهم ؟ •• لقد أنزل الله عليهم الرجز من السماء — طاعونا يستأصلهم — جزاء وفاقا لبغيهم وظلمهم وعصيانهم لأمر ربهم وتبديلهم لما طلب منهم • •

يقول تعالى : **« فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون »**(١٠١) •

ثم يقول جل شأنه : **« واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون • واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا ، قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون • فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون • فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين »**(١٠٢) •

حرم اليهود العمل على أنفسهم فى يوم السبت ، فأقرت الشريعة هذا التحريم •• وأراد الله تعالى ابتلائهم واختبارهم •• فكانت الأسماك الضخمة تخرج من البحر — بالقرب من قرية أيلة على بحر القلزم — يوم السبت الذى نهوا عن العمل فيه ، وتظهر قريبة منهم ثم تغيب فى سائر الأيام •• فاحتال أهل هذه القرية على انتهاك محارم الله • •

ووقفت جماعة منهم تحذرهم وتنهاهم عن معصية الله وانتهاك شريعته •• فتصدت لها أخرى قائلة : لم تنصحون قوما سوف يهلكهم الله فى الدنيا بعصيانهم أمره ، أو يعذبهم فى الآخرة عذابا شديدا ؟ •• فقالت الأولى للثانية : انما نعظهم لنعذر عند الله بأداء ما فرضه علينا من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولكى يتوبوا من معصيتهم وينزعوا عما هم فيه ••

---

(١٠٠) الأعراف : ١٦١ ، ١٦٢ (١٠١) الأعراف : ١٦٢

(١٠٢) الأعراف : ١٦٣ — ١٦٦

فلما ضيعوا أمر الله ، واستحلوا ما حرم عليهم .. أهلك الله تعالى الذين ظلموا بعذاب أليم لعصيانهم وخروجهم عن طاعتـــه ، فمسخهم قردة ذليلين حقيرين مهانين ، جزاء وفاقا على تمردهم عن طاعة الله ، وتكبرهم عما نهوا عنه .. وأنجى تعـــالى الذين وقفوا ينهون قومهم عن معصية الله ..

هكذا وقع الغضب والسخط على اليهود لتبديلهم فى أوامر الله تعالى وعصيانهم لها ..

كما رأينا ــ من حديث عدى بن حاتم الذى مر بنا ــ كيف وصف تعالى طاعة اليهود والنصارى لأحبارهم ورهبانهم فيما حللوه لهم وحرموه عليهم بعبادتهم اياهم ، واتخاذهم أربابا من دونه تعالى ..

فعن عدى بن حاتم ــ رضى الله عنه ــ قال : « أتيت النبى ﷺ وفى عنقى صليب من ذهب ــ وكان عدى حديث عهد بالاسلام ــ فقال : « ما هذا يا عدى ؟ ! اطرح عنك هذا الوثن » .. وسمعته يقرأ فى سورة براءة : « **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم** »(١٠٣) .. ثم قال : أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكن كانوا اذا أحلوا لهم شيئا استحلوه ، واذا حرموا عليهم شيئا حرموه »(١٠٤).

وسئل حذيفة ــ رضى الله عنه ــ عن هذه الآية : هل عبدوهم ؟ فقال : لا ، ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه ، وحرموا عليهم الحلال فحرموه ..

ويقـــول القرطبـــى : جعلوا أحبارهم ورهبانهم كالأرباب حيـــث أطاعوهم فى كل شىء ..

والمقصود : أن التشريع والتحليل والتحريم لله وحده .. وليس لمخلوق أيـــاً كان وضعه أن يبدل فى حكم الله أو يغير فيه ..

فما بالنا ــ نحن المسلمين ــ نسير على نفس الدرب ، ونستهين بأوامر الله ، فنعرض أنفسنا فى كل لحظة لغضبه وسخطه ؟ !

هل اتخذنا عند الله عهدا أن يخرق لنا السنن التى أجراها على الأمم

---

(١٠٣) التوبة : ٣١ (١٠٤) رواه الترمذى .

التى عصته من قبلنا ، فلا يعذبنا بذنوبنا ، ولا يسلط علينا من لايرحمنا ؟

هل وقع فى وهمنا أن مجرد اقرارنا بكلمة التوحيد دون العمل بمفهومها .. يمنحنا الحق فى مخالفته تعالى وعصيان أوامره ؟ !

يقول تعالى : « **أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** »(١٠٥) .

الله تعالى يوجهنا — برحمته وكرمه — الى النظر فى أحوال الأمم السابقة ، والاعتبار بما أنزله عليها من السخط والعذاب حين عتت عن أمره ، وعصت أحكامه وتمردت عليها .. فهل نظرنا .. وتفكرنا .. واعتبرنا ؟ ؟

اننا — للأسف — لم ننظر .. ولم نتفكر .. ولم نعتبر !!

اذن .. فلنستمع جميعا للنذير يسوقه الله تعالى لنا .. لنعلم جميعا أن الله تعالى لن يخرق من أجلنا السنن التى أجراها على الأمم السابقة حين عصته .. يقول تعالى .. مخاطبا نبينا ﷺ : « **وما أرسلنا فى قرية من نبى الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون . ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون . ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون . أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون . أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله ، فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون . أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ، ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون . تلك القرى نقص عليك من أنبائها ، ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين . وما وجدنا لأكثرهم من عهد ، وان وجدنا أكثرهم لفاسقين** »(١٠٦) .

---

(١٠٥) يوسف : ١٠٩ (١٠٦) الأعراف : ٩٤ — ١٠٢

يخبر الله تعالى نبيه ﷺ : أنه ما أرسل الى أمة من نبى قبله ، الا أخذ المكذبين منهم بالشدة وضيق العيش وسوء الحال .. حتى يتوبوا ويرجعوا ويتضرعوا الى ربهم ، وينيبوا اليه من ذنوبهم ..

فاذا هم فعلوا .. فان الله تعالى يغير حالهم الى السعادة والرخاء مكان الشدة والبلاء .. ليشكروا النعمة التى أنعم الله عليهم ..

هذه سنته تعالى مع جميع الأمم ..

وهو تعالى .. يبدل الأمم العاصية مكان الشدة والبلاء النعمة والرخاء — فى أول الأمر — حتى يكثروا وتكثر أموالهم وأولادهم .. وهذا استدراج منه لهم حتى يقولوا : هذه الأحوال قد أصابت من قبلنا من آبائنا ونالت أسلافنا .. ونحن فى ذلك مثلهم ، يصيبنا ما أصابهم من الشدة والرخاء .. فاذا استمر عصيانهم واصرارهم على الكفر والتكذيب .. أخذهم الله بالعذاب بغتة وهم لا يعلمون بميعاد مجيئه ، ولا يدرون أوان حلوله (١٠٧) .

ثم يقول تعالى : **« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض »** ..

أسمعتم اخوتى ؟ !

لو انكم صدقتم بالله ورسوله ، واتقيتم ربكم بفعل الطاعات وترك المحرمات .. لأغدق الله عليكم القطر من السماء ، وأخرج لكم نبات الأرض .. فيجمع لكم بين خيرات السماء والأرض . .

والله تعالى .. يخبرنا أن الأمم السابقة كذبت رسلها ، فأهلكهم الله بذنوبهم ..

ثم يلفتنا الى بدهية لا يجب أن تغيب عنا أبدا ..

هل يأمن المكذبون أن يأتيهم عذاب الله ونكاله وهم نائمون ؟؟

هل يأمنون أن يأتيهم العذاب فى حال شغلهم وغفلتهم وهم لاهون ؟ ؟

---

(١٠٧) مختصر تفسير الطبرى ، اختصار وتعليق الشيخ محمد على الصابونى ، والدكتور صالح أحمد رضا ، نشر دار التراث العربى بالقاهرة ص ٢٧٥ .

هل يأمنون استدراج الله لهم برخاء العيش وصحة الأبدان ؟؟

الحق .. أنه لا يأمن ذلك الا من كتب الله عليهم الهلاك — بكفرهم وعصيانهم وتمردهم عن أوامره تعالى وأحكامه .. فيخسروا بذلك سعادتهم وأنفسهم !!

لماذا لا نتبين .. أن لو يشاء الله تعالى لفعل بنا ما فعله بمن قبلنا .. فيعجل لنا العذاب بعد أن أغلقنا قلوبنا وعطلنا حواسنا .. فلا نستمع لموعظة ، ولا نرتدع بما وقع للأمم السابقة ؟ !

ان لنا فى هذه الأمم التى قص الله علينا نبأها فى كتابه الكريم .. قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم لوط وشعيب .. ان لنا فيهم الدليل القوى على أن النصر دائما يكون لرسل الله على أعدائه ..

لقد جاءتهم رسلهم بالحجج الواضحات .. فما آمنوا بما جاءهم به الرسل .. بل عاندوا وكفروا ، وأصروا على معصية الله وايذاء رسله بالقول والفعل .. ولهذا طبع تعالى على قلوبهم فلا يؤمنوا أبدا !!

وكما طبع الله على قلوبهم بظلمهم ومعصيتهم وكفرهم ، كذلك يطبع على قلب كل ظالم ، وكل عاص ، وكل كافر .. والعدل كل العدل ، هو ما أنزله الله بساحتهم ، فما كان لهم من وفاء بما وصاهم الله به من توحيده والعمل بطاعته .. فكان العدل — اذن — أن ينزل تعالى بهم العذاب والهلاك ، بعد أن اختاروا لأنفسهم طريق الفسق عن أمر ربهم والخروج عن طاعته وترك عهده ووصاياه ..

* * *

لقد ذم الله اليهود فقال : « **لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون** »(١٠٨) .

فالله تعالى .. قد أبعد اليهود وطردهم من رحمته ولعنهم على لسان أنبيائه ورسله — فى الزبور والانجيل — بل لعنوا بكل لسان ..

---

(١٠٨) المائدة : ٧٨ ، ٧٩

فقد لعنوا على عهد موسى فى التوراة .. ولعنوا على عهد داوود فى الزبور .. ولعنوا على عهد عيسى فى الانجيل .. ولعنوا على عهد محمد ﷺ فى القرآن ..

وذلك اللعن .. كان بسبب عصيانهم لأوامر الله ومجاوزتهم حدوده .. وكانوا لا ينهى بعضهم بعضا عما يفعلونه من المعاصى وركوب المحارم ، وقتل الأنبياء والرسل ..

فبئس فعلهم وصنيعهم ، وتركهم النهى عن معاصى الله ومحارمه ..

وقد مر بنا .. كيف أنزل الله عذابه بالذين قالوا لأصحابهم من المؤمنين : « **لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا** »(١٠٩). فنهوا الصالحين عن تقديم النصح لمن يعصون ربهم ، متعللين فى نهيهم بأن العذاب سوف يلحق أولئكم العصاة فى الدنيا ، وأنه واقع بهم لا محالة فى الآخرة .. فلم الوعظ وتقديم النصح اذا كان الهلاك والعذاب هو مصيرهم ومآلهم ؟ !

منطق معكوس ، وحجة واهية !! ولهذا استحق أولئك النفر العذاب والنكال ينزل بهم ويسويهم بالعاصين والمتكبرين .. لأنهم ارتضوا لأنفسهم النهى عن فعل المعروف والكف عن تقديم النصح ..

فخبرونى بربكم .. أين نحن اليوم من الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ؟ !

لقد أصبحت هذه الفريضة أمرا مستهجناً .. فلا يجد الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر من الناس الا الاعراض والاستهزاء .. فضلا عن الزجر والتوبيخ والعقاب !!

لقد أسكننا الله تعالى الأرض لعمارتها واستخلفنا فيها .. ولم يتركنا وشأننا .. بل أرسل الرسل الينا لهدايتنا والأخذ بأيدينا الى طريق الرشاد ..

وبين تعالى لنا الحلال والحرام .. حتى نسلك طريق الهداية ، ونتجنب طريق الضلال .. يقول تعالى : « **يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات** »(١١٠) .

---

(١٠٩) الاعراف : ١٦٤ (١١٠) المائدة : ٤

ويقول عن الحرام : « **قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون** »(١١١) .

فما بالنا نستحل الحرام ، ونستبدل الخبيث بالطيب ؟ !

لقد شرع الله لنا الشرائع .. وسن لنا القوانين ، ووجهنا الى الأخذ بها فقال : « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** »(١١٢) .

وقال جل شأنه : « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** »(١١٣) .

وقال جل وعلا : « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** »(١١٤) .

أى أن من ترك حكم الله الذى أنزله فى كتابه مستحلا تركه فهو كافر ، والآية وان نزلت فى اليهود فهى تشمل أيضا غيرهم من الأمم ..

ومن ترك الحكم بما أنزل الله .. فهو ظالم جائر عن حكم الله ..

ومن ترك الحكم بما أنزل الله .. فهو فاسق خارج عن طاعة ربه . .

والله تعالى .. جمع فى هذه الآيات لمن ترك الحكم بما أنزله بين الكفر ، والظلم ، والفسق ..

فمن جحد ما أنزله تعالى فقد كفر .. ومن أقر به ولم يتحاكم اليه فهو ظالم وفاسق . .

فما بالنا نرتضى الكفر على الايمان .. والظلم على العدل .. والفسق على الطاعة ؟ !

لقد أرسل الله تعالى رسوله ﷺ الينا ، رحمة منه وفضلا .. حتى يأخذ بأيدينا الى صراطه المستقيم .. ولم يرسله متحكما فى

---

(١١١) الأعراف : ٣٣ (١١٢) المائدة : ٤٤

(١١٣) المائدة : ٤٥ (١١٤) المائدة : ٤٧

الناس أو مسيطرا عليهم .. ولم يبعثه جبارا فى الأرض .. انما أرسله هاديا ومعلما ومرشدا ..

يقول تعالى : « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** »(١١٥) .

ويقول : « **لست عليهم بمسيطر . الا من تولى وكفر** » (١١٦) .

ويقول : « **وما أنت عليهم بجبار** »(١١٧) .

بل انه تعالى .. يقسم بذاته نافيا الايمان الحق عن الناس ما لم يجعلوا الرسول ﷺ حكما فيما يتنازعون أو يختلفون فيه من جميع أمورهم .. ثم لا يجدوا ضيقا فى أنفسهم مما حكم به ، ويسلموا لقضائه وحكمه التسليم المطلق ، مع الاذعان والقبول التامين .. يقول تعالى : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** »(١١٨) .

فالذى لا يرجع الى الرسول ﷺ .. ناقص الايمان ..

والذى يجد فى صدره ضيقا فيما تقضى به سنته ﷺ .. ناقص الايمان .

والذى لا يسلم لقضائه وحكمه ﷺ — التسليم الكامل المطلق ، ولا يذعن له الاذعان التام ويقبله عن طيب نفس — ناقص الايمان كذلك ..

فهل نحتكم — اليوم — الى الرسول ﷺ فيما نختلف فيه ؟

وهل تقبل قلوبنا حكمه .. فلا نجد فى أنفسنا حرجا مما قضى به ؟

وهل نسلم له — ﷺ — التسليم الذى يطلبه الله منا ؟

أقولها — والأسى يملؤنى — ان الناس اليوم لم يرتضوا بحكم الله وشريعته قانونا يحكم حياتهم .. ولم يحتكموا الى الرسول ﷺ فى أمور دينهم ودنياهم .. بل يحتكمون دائما الى أهوائهم ومصالحهم مكتفين فى جميع الأحوال بالقشور الزائفة تحكم حياتهم .. تاركين سنة نبيهم وراء ظهورهم .. فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ..

يقول تعالى : « **وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من**

---

(١١٥) الأنبياء : ١٠٧ (١١٦) الغاشية : ٢٢ ، ٢٣

(١١٧) سورة ق : ٤٥ (١١٨) النساء : ٦٥

الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات ، الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون • وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون • افحكم الجاهلية يبغون • ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون »(١١٩) •

لقد أنزل الله القرآن بالصدق الذى لا شك فى أنه من عنده تعالى •• مصدقا لما تقدمه من الكتب المنزلة على رسله وأنبيائه •• وجعله تعالى مؤتمنا على كتب الله المتقدمة عليه ، حاكما وشاهدا عليها ، فما وافقه منها فهو حق ، وما خالفه منها فهو باطل ، لأنه مما حرفه وبدله أحبار اليهود والنصارى ••

وفى ذلك يقول ابن عباس رضى الله عنهما : « القرآن شاهد على التوراة والانجيل ، وحاكم على ما قبله من الكتب » •

كما يقول ابن كثير : « جمع الله فى القرآن محاسن ما قبله •• وزاده من الكمالات ما ليس فى غيره ، فلهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها ، وتكفل تعالى بحفظه » • •

الله تعالى يطلب من رسوله ﷺ — فى هذه الآية — أن يحكم بين أهل الكتاب والمشركين بما أنزله تعالى عليه فى القرآن فى الحدود والجروح وسائر الأحكام •• وأن يعرض عن اتباع أهوائهم فيما يدعونه اليه عن الذى جاءه من عند الله من الحق ، فيترك العمل بكتابه اتباعا لأهواء هؤلاء الجهلة الأشقياء ••

والله تعالى •• قد جعل لكل أمة شريعة يعملون بها •• وطريقا بينا واضحا يسلكونه ، ولو أراد — جل شأنه — لجعل شرائعهم واحدة ولم يجعل لكل أمة شريعة خاصة ••

وواقع الأمر •• أن شرائع الأنبياء ، اذا كانت مختلفة فان دينهم

---

(١١٩) المائدة : ٤٨ — ٥٠

واحد .. لأن الدين عند الله هو الاسلام .. دين التوحيد .. وانما اختلفت هذه الشرائع تيسيرا على العباد ، فان ما يصلح فى عصر قد لا يصلح فى عصر آخر .. ولهذا قال تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** » .. فالله تعالى خالف بين شرائع الأمم ليختبرهم ، فيعرف المطيع من العاصى ، والعامل من المخالف .. أما الدين فهو واحد .. وأما الهدف فما اختلف أبدا : « **اعبدوا الله ، ما لكم من اله غيره** » (١٢٠) .

يأمرنا تعالى — فى هذه الآيات — أن نتبادر ونتسابق الى فعل الصالحات التى تقربنا من رضوانه .. فاليه سبحانه مصيرنا جميعا ، فيخبرنا بأعمالنا ويفصل بيننا بقضائه العادل .. وحينئذ يتبين المحق من المبطل ، والبر من الفاجر ..

ويطلب تعالى من رسوله أن يحكم بينهم بحكم الله الذى أنزله اليه فى كتابه ، وألا يتبع أهواء اليهود ، وأن يحذرهم أن يصدوه عن العمل بما أنزل الله اليه .. فان هم أعرضوا عن قبول حكمه ، فليعلم أنهم لم يتولوا عن الرضا به الا من أجل شقائهم وتعاستهم بسبب ذنوبهم السالفة .. وان أكثر الناس لخارجون عن طاعة ربهم الى معصيته ، فيطلبون حكم الجاهلية من عبدة الأوثان ويتركون حكم الله جل وعلا .. وأى حكم أحسن من حكم الله لمن أيقن بوحدانيته وأقر بربوبيته ..

فلماذا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا .. ونستورد فلسفتنا وأفكارنا من أرسطو وأفلاطون وأفلوطين .. ونقول بوحدة الوجود ، والحقيقة المحمدية ، وخاتم الأولياء ؟ !

اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

* * *

---

(١٢٠) الأعراف : ٥٩

خاتمة

« الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هـدانا الله »[1] .

يقول الله تعالى : **« والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »**[2] .

يقسم تعالى بالدهر .. والله هو خالق الدهر ..

ويقول سـبحانه فى الحديث القدسى : « يؤذينى ابن آدم : يسب الدهر ، وأنا الدهر ، بيدى الأمر ، أقلب الليل والنهار » .. فكأنه تعالى يقسم بذاته .. فالزمن لا يصنع بالناس خيرا ولا شرا ، مما يفرح الناس به أو يحزنون .. وانما يسوق ذلك رب الزمان والمكان ..

ويؤكد لنا جل شأنه بهذا القسم العظيم ، أن الناس جميعا فى هلكة ونقصـان ..

ثم استثنى — تعالى — من الهالكين : الذين صدقوا الله ، وأقروا له بالوحدانية ، وأدوا فرائضه ، واجتنبوا معاصيه .. ووصفهم — جل شأنه — بأنهم الذين يوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بكتابه ، واجتناب ما نهى عنه ، وأنهم يتواصون بالصبر على العمل بطاعة الله تعالى ..

لقد حكم — تعالى — بالخسران على جميع أفراد البشر ، الا من اتصف بهذه الخصال الأربع : الايمان ، والعمل الصالح ، والتواصى بالمعروف ، والتواصى بالبر .

ويقول الامام الشافعى رضى الله عنه : « لو لم ينزل الله سوى هذه السورة لكفت الناس » . فقد جمعت خصال الايمـان والعمـل الصالح ..

وعلى هذا .. أوصى نفسى كما أوصى قومى بالحق ..

والحق .. أن الاسلام دين التوحيد ، وليس الوحدة . .

---

(١) الاعراف : ٤٣ (٢) سورة العصر ..

الحق .. أن الله تعالى واحد أحد ، فرد صمد .. خلق الأشياء وليس هو عينها ..

الحق .. أن الله تعالى هو المدبر الحكيم .. يدبر شئون الخلق منذ أوجدهم الى أن يقبضهم اليه .. هو وحده المدبر ، وليس ديوان الصوفية أو مجلس الأقطاب .

« ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو ، خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير »[٣] .

الحق .. أن الرسول ﷺ بشر مثلنا .. اصطفاه الله علينا ، فأكرمه بالنبوة ، واختصه بالرسالة .. وحقيقته — ﷺ — أنه خير خلق الله كلهم .. **« قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى »**[٤] .

وأولياء الله هم **« الذين آمنوا وكانوا يتقون »**[٥] .. آمنوا بالله ربا فعبدوه دون سواه .. واتقوه — تعالى — فالتزموا بالعمل بكتابه وسنة رسوله ، وانتهوا عما نهى عنه ، ولا دخل لهم فى الكرامات التى يجريها الله على أيديهم ، اظهارا منه تعالى لكرامتهم بين الناس ..

الحق .. أن الاستعانة ، والاستغاثة ، والتوجه بالدعاء ، والنذر لغير الله .. كل ذلك من الشرك .

كما أوصى نفسى — امتثالا لأمر الله — بالصبر على ما لقيت من أذى حين ظهر كتابى السابق « من وصايا القرآن الكريم » ، وتحدثت فيه عن بعض جوانب التصوف فى معرض التدليل على انفراد الله تعالى وحده بمعرفة الغيب .. فما كاد ذلك الكتاب يطرح بين أيدى القراء ، الا وقامت ضجة مفتعلة ، واكبها اتهام ظالم لى بكراهية الأولياء ، والعداء للصوفية !!

فى حين أنى التزمت فى كل ما سطرته — فى ذلك الكتاب — بالحرص على اتخاذ موقف الحياد التام بين أنصار التصوف وخصومه ،

---

(٣) الانعام : ١٠٢ ، ١٠٣ (٤) الكهف : ١١٠.

(٥) يونس : ٦٣

فعرضت لكل طرف من الأطراف رأيه ، ثم علقت على ذلك الرأى بما يوضحه للقارىء غير المتخصص !!

قامت تلك الضجة .. على غير أساس — سوى الاختلاف بين وجهات النظر — فى موضوع هو للخرافة والأسطورة أقرب منه الى الحقيقة .. بعد أن ألصق بالاسلام — زورا — الكثير من الخرافات والأساطير التى تنكرت تحت عباءة التصوف الاسلامى .. فأساءت الى التصوف نفسه أكثر مما أساءت الى الاسلام !!

وقد دفعتنى تلك الضجة المفتعلة وما صاحبها من حملة ظالمة .. الى مناقشة بعض المسائل التى حفل بها الفكر الصوفى — فى عصوره المتأخرة — والى الموازنة فى تعرضى لهذه المسائل بين غلو الأنصار ، ومغالاة الخصوم .. فكان هذا الكتاب !!

وأحمد الله تعالى .. على أن تلك الأمور التى واجهتنى عند ظهور كتابى السابق لم تؤثر على آرائى ، أو تغير من اصرارى على الالتزام بالحياد التام ، والموضوعية الكاملة فى كل ما أتعرض له من مسائل فى موضوع التصوف الاسلامى .. ذلك الموضوع الشائك الذى طال من حوله الجدل !!

وماذا يكون التحرش أو التهجم والسباب ، والافتراء بالباطل .. الى جانب ما يلاقيه كل من يدعو الى طريق الله الواضحة من ايذاء ؟ !

ان الأمر لأتفه من أن يعرقل الخطو ، أو أن يعلق بالذاكرة .. وعند الله وحده أحتسب ما لاقيت !!

وواضح — فى هذا الكتاب — اننى لم أنطلق فى كل ما سطرته الا من المنطلق الاسلامى وحده .. ولم أحرص الا على التمسك بافراد الله وحده بالألوهية والربوبية : فى ذاته وصفاته .. فهو تعالى وحده المنفرد فى ذاته ، المتفرد فى صفاته .. وليس كمثله شىء وهو السميع البصير ..

* * *

ومن الظلم لكاتب هذه السطور .. اتهامه بالعداء للأولياء والصالحين .. فقد قرأت ووعيت تماما قول الله تعالى : **« ألا ان أولياء**

الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون · الذين آمنوا وكانوا يتقون · لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم » (٦) ·

ولهذا أعرف حق المعرفة خطورة معاداة الأولياء والصالحين ·· فليس لعاقل أن يتعرض لمحاربة الله جل شأنه حين يقدم على معاداة صنف من الناس اختصهم الله تعالى بالكرامة والهداية ·· ليس لعاقل أبدا أن يعرض نفسه لذلك وهو يعرف الحديث القدسى الذى يقول فيه تعالى : « من آذى لى وليا فقد أستحل محاربتى »(٧) ·· فليس لى بمحاربة الله تعالى من طاقة ؟ !

ومن الظلم والتجنى — أيضا — اتهام كاتب هذه السطور بمحاربة الصوفية ، والعداء للمتصوفين !!

لقد ولد — كاتب هذه السطور — فى بيئة صوفية خالصة ·· وكان أبى — يرحمه الله — من أبناء الطريقة الخلوتية ·· سلك الطريقة وتتلمذ على يد شيخها الأسبق فضيلة الشيخ « عبد الجواد محمد الدومى » ، وكان الدومى رحمه الله رجلا صالحا من علماء الأزهر الأجلاء ، وكان اماما وخطيبا لمسجد « السباعى » بالسبتية ·· وقد تتلمذ بدوره على يد عالم جليل من علماء الصعيد هو فضيلة الشيخ « عبد الجواد المنسفيسى » ·· رحمهما الله ورضى عنهما ··

كان الرجلان من أفاضل العلماء تقى وورعاً ·· وعليهما تتلمذ أبى وسلك الطريق ··

ولقد قضى أبى حياته كلها يفخر ويعتز بأن « سيدنا الشيخ » هو الذى أطلق على وليده — كاتب هذه السطور — الاسم الذى يحمله منذ ولد الى أن يلقى الله تعالى ·· وكان يرى فى مبادرة شيخه الى هذه التسمية علامة من علامات الصلاح والفلاح التى يرتجيها لوليده !!

بل لقد هم — كاتب هذه السطور — فى صدر شبابه ، وللشباب

---

(٦) يونس : ٦٢ — ٦٤

(٧) رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى وأبو نعيم وابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها ·

نزوات لعل الله يغفرها ويتجاوز عنها ، هم بأن يسلك الطريق التى سبقه اليها أباه وخاله ، وآن ينتسب الى الصوفية .. ولكن شاءت عناية الله أن تجنبه خوض هذه التجربة فكان فى ذلك الخير الكثير الذى يحمد الله عليه ..

والطريقة الخلوتية — التى انتسب اليهـا أبى — طريقة مؤيدة بالشريعة الغراء .. وليس فيها تكاليف بما لا يطاق .. ولا نعـدو الحقيقة حين نقول انها أفضل الطرق الصوفية ، لأن ذكرها « لا اله الا الله » .. وهو أفضل ما يقول العبد ، كما فى الحديث الشريف ..

ويقول الصوفيون : ان الرسول ﷺ لقن ذلك الذكر لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه .. فعن يوسف الكورانى العجمى بسنده : أن عليا رضى الله عنه وكرم وجهه سأل النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، دلنى على أقرب الطرق الى الله وأسهلها على عباده ، وأفضلها عند الله تعالى .. فقال : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا اله الا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين فى كفة ، ولا اله الا الله فى كفة ، لرجحت بهم لا اله الا الله » .. ثم قال ﷺ : « ياعلى ، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول : لا اله الا الله » ..

ويقولون : ان عليا رضى الله عنه قال : كيف أذكر يارسول الله ؟ .. فقال ﷺ : « أغمض عينيك واسمع منى الذكر ثلاث مرات ، ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع » ..

فقال عليه الصلاة والسلام : « لا اله الا الله » ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلى يسمع ، ثم قال على كرم الله وجهه : « لا اله الا الله » ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صـوته والنبى ﷺ يسمع ..

كما يقولون : ان عليا كرم الله وجهه لقن ذلك الذكر للحسن البصرى ، الذى لقنه لتليمذه حبيب العجمى — وهو لقن داوودا بن نصير الطائى ، وهو لقن معروفاً الكرخى ، وهو لقن سرياً السقطى ، وهو لقن أبا القاسم الجنيد .. الذى تفرعت عنه سائر الطرق الصوفية المشهورة ..

والجنيد بن محمد البغدادى — وهو أبو القاسم الخزاز الصوفى (ت ٢٩٧ هـ) — صوفى من العلماء بالدين ، ولد ونشأ ببغداد ، وقد عده العلماء شيخ مذهب التصوف ..

ويقال انه حج الى مكة ثلاثين حجة .. وكان رفيع المقام ، ولكنه كان يأخذ فى يده « مسبحة » ، فقيل له فى ذلك ، فقال : طريق وصلت به الى ربى لا أفارقه ..

ومن كلامه : « طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة ، ومن لم يحفظ القرآن ، ولم يكتب الحديث ، ولم يتفقه .. لا يقتدى بنا » ..

لذا عرف بسيد الطائفة ، وطاووس العلماء ..

وتنسب الطريقة الخلوتية الى محمد ميرام الخلوتى ، عن عمر الخلوتى ، عن أخى محمد الخلوتى ، عن ابراهيم الزاهد التكلانى ، عن جمال الدين التبريزى ، عن شهاب الدين محمد الشيرازى ، عن ركن الدين محمد النجاشى ، عن قطب الدين الأبهرى ، عن أبى النجيب السهروردى ، عن عمر البكرى ، عن وجيه الدين القاضى ، عن محمد البكرى ، عن محمد الدينورى ، عن ممشاد الدينورى ، عن الجنيد بن محمد البغدادى — سيد الطائفة الذى انتهت اليه الطرق المشهورة ..

وقد أخذ أبى العهد على يد شيخه عبد الجواد محمد الدومى ، الذى ورث المشيخة عن شيخه عبد الجواد المنسفيسى ، عن أحمد الصاوى ، عن أحمد الدردير ، عن محمد بن سالم الحفناوى ، عن مصطفى البكرى ، عن عبد اللطيف الحلبى ، عن مصطفى أفندى الأدرنوى ، عن على قرا باشا أفندى ، عن اسماعيل الجارومى ، عن عمر الفؤادى ، عن محيى الدين القسطمونى ، عن شعبان القسطمونى ، عن خير الدين التوقادى ، عن جلبى سلطان الاقداى الشهير (بجمال الخلوتى) عن محمد بن بهاء الدين الأرزنجانى ، عن يحيى الباكوبى ، عن صدر الدين الحنانى ، عن الحاج عز الدين ، عن محمد ميرام الخلوتى الذى تنسب اليه الطريقة الخلوتية ..

وشيخ الطريقة — الحالى — هو فضيلة الشيخ عامر عبد الرحيم سعيد ، الذى ورث المشيخة عن الشيخ محمد الطاهر الحامدى ، عن

السيد / محمد أحمد الرملى ، عن الشيخ عبد الجواد محمد الدومى — شيخ أبى ..

ولم يتخذ الخلوتية لهم زياً يميزهم عن غيرهم .. فى حين أن لكل طريقة لوناً خاصا ، فنرى للأحمدية اللون الأحمر ، وللرفاعية اللون الأسمر ، وللبرهمية الأخضر ، وللشاذلية أعلام مختلفة ، وللمرغنية الأبيض ... الخ .

ولهم فى الطريق أصول هى : الجوع وممارسة الصوم ، والعزلة تمهيدا للخلوة ، والصمت ، والسهر للذكر والفكر — وأقله ثلث الليل الأخير حتى طلوع الشمس — ودوام الذكر الذى يلقيه الشيخ الى المريد ..

وأول الذكر بالاسم الأول وهو : « لا اله الا الله » .. فيذكره المريد ويجتهد فيه ويكرره ، ولا ينتقل عنه الى الاسم الثانى الا باشارة شيخه .. ومن هنا قلنا ان هذه الطريقة هى أفضل الطرق الصوفية المعروفة ..

وللطريق مهمات : كالتوبة ، والخوف ، والرجاء ، والحزن ، والقناعة ، والزهد ... الخ .

وله لوازم : وهو الشيخ ، ومداومة الذكر ، والاقتصاد فى الحلال ، وحفظ القلب ، وعدم استبطاء الفتح .. الخ ..

والمقصود من روايتى لهذه السلسلة الطويلة من رجال الطريقة الخلوتية .. واحتفاظ الذاكرة بأسمائهم طيلة هذه المدة .. أن هذه النشأة وهذه التربية .. تجعلان من الظلم والتجنى اتهامى بالعداء للأولياء أو محاربة التصوف والصوفية !! ولكن الحرص على سلامة العقيدة ، أثمن وأغلى عندى من كل عاطفة ، ولو كانت عاطفة القرابة أو وشيجة الدم !!

وكما قلت من قبل .. نحن لا نعادى الصوفية ولا نحاربها اذا تمسكت بكتاب الله وسنة رسوله ، واذا دعت الى صفاء النفس ونقاء العقيدة ..

نحن لا نعادى الصوفية ولا نحاربها اذا دعت الى التجرد من علائق الدنيا — دون مقاومتها — وعملت على التفرغ لطلب الآخرة دون القعود عن عمارة الدنيا .

نحن لا نعادى الصوفية اذا كانت تدعو الى الرهبة من الخالق لا من الخلق .. واذا ما جعلت يقينها أن ما يصيبنا لم يكن ليخطئنا ، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا .

نحن لا نعادى الصـوفية اذا دعت الى ارجاع كل الأمور الى الله تعالى دون خوف من مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا أذى .

وأخيرا .. أقول : نحن لا نملك معاداة الصوفية أو محاربتها .. اذا كان السالكون طريقها أطهار الذيل ، أعفاء النفوس ، زاهدين فى كل ما فى أيدى الناس ، مطمئنين الى ما عند مسبب الأسباب ..

وحين تحرص الصوفية على التزام هذا النهج .. تصبح حقاً ذروة الايمان فى التقى والجرأة ، والاقدام والاخلاص .. ولا يوجد — فى تقديرنا — عاقل يرغب فى محاربة مثل هذه المبادىء الفاضلة ..

أما حين تحيد الصوفية عن أمر الله ، وحين تعرض عن كتابه وسنة رسوله !!

أما حين تدعو الى وحدة الوجود ، والى الحقيقة المحمدية ، والى خاتم الأولياء !! ، وحين تتمسك بالخرافات والأساطير التى تسىء الى التصوف نفسه بأكثر مما تسىء الى الاسلام !! ، فاننا لا نملك أبدا مسالمتها أو مهادنتها .. ولا نستطيع أبدا السكوت على زيغها وانحرافها ، مهما كان الثمن غاليا ..

ومجمل القول : اننا لا نعادى الا الخرافة والأسطورة فى الدين .. ولا نحارب الا منازعة الله تعالى خصائصه واشراك عباده فيها .. والله الموفق .. وهو المستعان .

« **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين** »[٨] .

وآخر دعوانا : « **أن الحمد لله رب العالمين** »[٩] .

* * *

---

(٨) الأعراف : ٨٩ (٩) يونس : ١٠

مراجع الكتـــاب

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ الابريز ، للدباغ ، ط ١٢٩٢ هـ (مشـــار اليه فى : هـــذه هى الصوفية) .

٣ ــ ابن الفارض : سلطان العاشقين ، د . محمد مصطفى حلمى ، سلسلة أعلام العرب (١٥) ١٩٦٣ م .

٤ ــ اتحاف الكائنات ، للشيخ محمود خطاب السبكى .

٥ ــ احياء علوم الدين ، لأبى حامد الغزالى ، نشر دار الشعب .

٦ ــ أسباب النزول ، للنيسابورى ، نشر دار الكتب العلمية ببيروت .

٧ ــ اغاثة اللهفـــان من مصـــايد الشـــيطان ، لابن القيم ، نشر دار التراث العربى .

٨ ــ الانســـان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل ، لعبد الكريم الجيلانى ، نشر صبيح .

٩ ــ بداية الهداية ، لأبى حامد الغزالى ، نشر دار التراث العربى .

١٠ ــ البدعة : تحديدها وموقف الاســـلام منها ، د . عزت على عيد عطية ، دار الكتب الحديثة (الاسلامية) .

١١ ــ تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، للشيخ ناصر الدين الألبانى ، نشر المكتب الاسلامى ببيروت .

١٢ ــ التصوف الاسلامى بين الدين والفلسفة ، د . ابراهيم هلال ، نشر مكتبة النهضة العربية .

١٣ ــ تفسير روح المعانى ، للآلوسى ، ادارة الطباعة المنيرية .

١٤ ــ التفســـير والمفسرون ، د . محمـــد حسين الذهبى ، نشر مكتبة وهبة .

١٥ ــ التوسل : أنواعه وأحكامه ، للشيخ ناصر الدين الألبانى ، نشر بيروت ، ١٣٩٧ هـ .

١٦ ــ جامع الأصـــول فى الأولياء ، للكمشخانلى ، (مشار اليه فى : هـــذه هى الصوفية) .

١٧ ــ الجانب العاطفى من الاسلام ، للشيخ محمد الغزالى ، نشر دار الكتب الحديثة (الاسلامية) .

١٨ ــ جواهر المعانى فى فيض التيجانى ، لعلى بن حرازم (مشار اليه فى : هـــذه هى الصوفية) .

١٩ ــ حقيقة التوحيد ، د . يوسف القرضاوى ، نشر مكتبة وهبة .

٢٠ ــ حقيقة التوسل والوســـيلة على ضوء الكتاب والســـنة ، للأستاذ موسى محمد على ، نشر دار التراث العربى .

٢١ — حقيقة مذهب الاتحاديين ، لابن تيمية (مشار اليه فى : هذه هى الصوفية) .
٢٢ — حكمة الاشراق ، للسهروردى ، نشر هنرى كوربانى (مشار اليه فى : هذه هى الصوفية) .
٢٣ — حلية الأولياء ، لأبى نعيم الأصفهانى ، نشر مكتبة الخانجى .
٢٤ — الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، للشيخ محمد الغزالى ، نشر مكتبة وهبة .
٢٥ — الدين الخالص ، للشيخ محمود محمد خطاب السبكى ، نشر الجمعية الشرعية .
٢٦ — رسالة فى معرفة الحقائق ، لمحمد الدمرداشى (مشار اليه فى : هذه هى الصوفية) .
٢٧ — رسالة لأحمد عبد المنعم الحلوانى (مشار اليه فى : هذه هى الصوفية) .
٢٨ — الرسالة القشيرية ، للقشيرى ، مطبعة التقدم العلمية ، ١٣٤٦ هـ .
٢٩ — رماح حزب الرحيم ، لعمر بن سعيد الفونى (مشار اليه فى : هذه هى الصوفية) .
٣٠ — زاد المعاد فى هدى خير العباد ، لابن القيم ، نشر المطبعة المصرية ومكتبتها .
٣١ — السيد البدوى : شيخ وطريقة ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، سلسلة اعلام العرب (٧٨) ، ١٩٦٦ م
٣٢ — السيرة النبوية ، لابن هشام ، نشر دار التراث العربى .
٣٣ — صحيح مسلم بشرح النووى ، نشر دار الشعب .
٣٤ — صحيح البخارى ، للامام البخارى ، نشر دار الشعب .
٣٥ — الصوفية فى نظر الاسلام ، للأستاذ سميح عاطف الزين ، نشر دار الكتاب اللبنانى — بيروت .
٣٦ — طبقات الشاذلية الكبرى ، للكوهنى (مشار اليه فى : هذه هى الصوفية) .
٣٧ — الطبقات الكبرى ، للشعرانى ، نشر صبيح .
٣٨ — عقيدة الشيعة ، لرونلدسن (مشار اليه فى : هذه هى الصوفية) .
٣٩ — العقيدة والشريعة ، لجولد زيهر (مشار اليه فى : هذه هى الصوفية) .
٤٠ — علم الحديث ، لابن تيمية ، نشر دار الكتب الاسلامية .
٤١ — عجائب الآثار ، للجبرتى ، طبع بولاق — القاهرة .

٤٢ — الفتاوى الأمينية ، للشيخ أمين محمود خطاب السبكى ، نشر الجمعية الشرعية .
٤٣ — الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، نشر دار المعرفة ببيروت .
٤٤ — الفتح الربانى والفيض الرحمانى ، لعبد الغنى النابلسى — نشرته دار التراث العربى سنة ١٩٨٦ باسم « حقائق الاسلام وأسراره » ..
٤٥ — الفتوحات المكية ، لابن عربى ، طبع بولاق — القاهرة .
٤٦ — فصوص الحكم ، لابن عربى ، تحقيق د . أبو العلا عفيفى ..
٤٧ — الفكر الاسلامى فى تطوره ، د . محمد البهى ، نشر مكتبة وهبة .
٤٨ — فقه السنة ، للشيخ السيد سابق ، نشر دار التراث العربى ..
٤٩ — قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة ، لابن تيمية ، طبع المنار ، ١٣٥٤ هـ .
٥٠ — قصص الأنبياء ، لابن كثير ، نشر دار التراث العربى ..
٥١ — قوت القلوب ، لأبى طالب المكى (مشار اليه فى : هذه هى الصوفية) .
٥٢ — الكبائر ، للذهبى ، نشر دار التراث العربى .
٥٣ — كشف الوجوه الغر ، للقاشانى (مشار اليه فى : هذه هى الصوفية) ..
٥٤ — الكواكب الدرية ، لعبد الرؤوف المناوى (مشار اليه فى : هذه هى الصوفية) ..
٥٥ — لسان العرب ، لابن منظور ، نشر دار المعارف بمصر .
٥٦ — اللمع ، للطوسى ، تحقيق د . عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقى سرور ، نشر دار الكتب الحديثة (الاسلامية) .
٥٧ — ليس من الاسلام ، للشيخ محمد الغزالى ، نشر دار الكتب الاسلامية .
٥٨ — مختصر تفسير الطبرى ، اختصار وتعليق الشيخ محمد على الصابونى ، و د . صالح أحمد رضا ، نشر دار التراث العربى .
٥٩ — المدخل ، لجوتييه (مشار اليه فى : هذه هى الصوفية) .
٦٠ — مدخل الى التصوف الاسلامى ، د . أبو الوفا التفتازانى ، نشر دار الثقافة .
٦١ — مشكاة الأنوار ، لأبى حامد الغزالى ، تحقيق ونشر الدار القومية .
٦٢ — المصريون المحدثون ، للمستشرق لين (مشار اليه فى : هذه هى الصوفية) .
٦٣ — المصطلحات الأربعة فى الاسلام ، لأبى الأعلى المودودى ، نشر دار التراث العربى .

٦٤ — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، نشر دار الشعب .

٦٥ — مفتاح السعادة ، لطاش كبرى زاده (مشار اليه فى : هـذه هى الصوفية) .

٦٦ — مفتاح الفلاح ، لابن عطاء الله السكندرى .

٦٧ — مقاييس اللغة ، لابن فارس .

٦٨ — منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، للأستاذ عز الدين بليق — بيروت .

٦٩ — من وصايا القرآن الكريم ، لمحمد الأنور أحمد البلتاجى ، نشر دار التراث العربى .

٧٠ — مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم ، لابن عربى ، ط القاهرة ، ١٣٨٤ هـ .

٧١ — النفحات الأقدسية شرح الصلوات الادريسية ، لمحمد بهاء الدين البيطار (مشار اليه فى : هـذه هى الصوفية) .

٧٢ — هـذه دعوتنا ، للشيخ عبد اللطيف مشتهرى ، نشر دار الاعتصام .

٧٣ — هـذه هى الصوفية ، للأستاذ عبد الرحمن الوكيل ، نشر دار الكتب العلمية ببيروت .

٧٤ — الوحى والقرآن الكريم ، د . محمد حسين الذهبى ، نشر مكتبة وهبة .

٧٥ — اليواقيت والجواهر ، للشعرانى ، ط ١٢٧٧ هـ ، القاهرة .

● **دوريات :**

١ — جريدة الأهرام القاهرية الصادرة فى ١٩٨٥/١/٦

٢ — جريدة الأهرام القاهرية الصادرة فى ١٩٨٥/٢/١٨

٣ — جريدة الأهرام القاهرية الصادرة فى ١٩٨٦/١/٥

٤ — جريدة الأهرام القاهرية الصادرة فى ١٩٨٦/١/١٥

٥ — جريدة أخبار اليوم الصادرة فى ١٩٨٦/٢/١٨

٦ — مجلة الاذاعة المصرية — الصادرة فى ١٩٥٧/٩/٧

٧ — مجلة التصوف الاسلامى — العدد ٧٠ (ربيع الأول سنة ١٤٠٥ هـ — ديسمبر سنة ١٩٨٤ م) .

٨ — مجلة التصوف الاسلامى — العدد ٧٢ (جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هـ — فبراير سنة ١٩٨٥ م) .

٩ — مجلة اللواء الاسلامى — العدد ٢٠٩ فى ١٩٨٦/١/٢٣

١٠ — مجلة اللواء الاسلامى — العدد ٢١٠ فى ١٩٨٦/١/٣٠ .

* * *